المجلة الأكاديمية للإعجاز العلمي ، 1437، عدد 1، رقم 7، ص 93-117
ISSN: 2356-9824 & doi:10.19138/ejaz.37.7

بحث أصلي

نحو منهج لدراسة الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية

كارم السيد غنيم

أستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر (بالقاهرة)، عضو اتحاد كُتّاب مصر، أمين عام جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمصر.
بريد إلكتروني: karemghoneim@gmail.com

استلام ٢٠١٢/١٢/١٤، الموافقة والنشر: الإثنين، ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٧، الموافق ٢٠١٥/١٢/٣١

الموجز

يتم توظيف دراسات وبحوث الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية في خدمة السُنة والدفاع عنها ضد المشككين فيها. كما تستهدف هذه البحوث والدراسات الأمة الإسلامية، فتدفعها نحو النهوض والارتفاع بها كي تتبوّأ مكانتها التي أرادها الله لها... إن الكثير من الكتّاب والمؤلفين والمحاضرين لا يلتزمون منهجا واضحا في تناول الإشارات العلمية (أو ما يسمى الإعجاز العلمي) الواردة بالأحاديث النبوية، بل يعتمدون على حماسهم فقط لخدمة السُنة النبوية، وهو ما جعل عددا كبيرا منهم يسقط في أخطاء عديدة، شجّعت الحاقدين على الإسلام، فراحوا يحاولون النيل من السُنة الشريفة... ومن هنا وجب علينا وضع منهج ذي ضوابط ب ينبغي التزامه وهو موضوع البحث الحالي مشاركة منا في خدمة سُنة النبي ﷺ، ويتضمن المنهج الحالي الضوابط أو القواعد التالية: القواعد اللغوية والضوابط البيانية (ومراعاة تعدد مدلولات اللفظ)- توثيق النصوص- التثبُّت من المعطيات العلمية الحديثة- مراعاة التخصص العلمي الدقيق- الوحدة الكلية والإطار العام للحديث النبوي- دور القرآن في دراسة الأحاديث النبوية- خطورة ردّ الأحاديث الصحيحة- خطورة ردّ أحاديث الآحاد- الموقف من الأحاديث الضعيفة- الشرح الموضوعي للسُنة النبوية- تخصيص العُموم- معرفة أسباب الورود- الثابت والمتغيّر في الأحاديث النبوية- الجمع والتوفيق بين النصوص الصحيحة المتعارضة- الترجيح فيما بين النصوص الصحيحة المتعارضة- الناسخ والمنسوخ- عدم ولوج الأمور الغيبية المطلقة- ضوابط أخرى.

الكلمات المفتاحية

الوحي؛ القرآن؛ السُنة؛ معجزة؛ الآحاد؛ المعارف؛ فرض؛ حقيقة؛ نظرية؛ متواتر؛ صحيح؛ ضعيف؛ الرواية؛ الدراية؛ السند؛ المتن؛ الثابت؛ المتغير؛ العدوى.

١. المقدمة

الحمد لله الذي نهج لنا سُبل الرشاد، وجعلنا من أتباع خير العباد، وهدانا بنور القرآن، كلام العزيز المنان، المنزّه عن الزيادة والنقصان، المُعجز في كلّ وقت وآن، الصالح لكل زمان ومكان، والصلاة والسلام على صاحب هذه المعجزة الخالدة، التي جبّت ما قبلها من معجزات بائدة، وحوّلت العرب من قبائل آبدة، إلى أمّة متحضرة راشدة... معجزة صنعت نفوسا عابدة، راكعة ساجدة، مجتمعة تحت راية واحدة... إنني أحد الذين قدّموا منهجا لدراسة الإشارات العلمية في القرآن الكريم، وقد طبع هذا في عام ١٩٩٥م [١]... وبعد هذا التاريخ وجدتُ انتباها لخدمة السُنة النبوية، فكثرت الكتابات، وتعددت المحاضرات، وتنوعت المطبوعات، وطالعت أغلبها، وشاركت في بعض الفاعليات التي تدور حولها، فلاحظت أن معظم الأخوة الكتّاب والمؤلفين والمحاضرين لا يلتزمون منهجا، بل يعتمدون على حماسهم فقط في تناول الأحاديث النبوية، وهو ما جعل عددا كبيرا منهم يسقط في أخطاء عديدة، شجّعت الحاقدين على الإسلام ونبيّه في حقدهم، فراحوا يحاولون النيل من سُنة النبي ﷺ ... ومن هنا وجدتُ أنه من الضروري العكوف على وضع منهج ذي ضوابط أنصح نفسي أولا، وأخوتي الباحثين ثانيا، بالتزامه والسير وفق قواعده، فجاء البحث الحالي مشاركة منا في خدمة السُنة الشريفة، وعنوانه "نحو منهج لدراسة الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية"، وقد أشار بعض الأخوة بحذف كلمة "نحو"، ولكنني تربيتُ على التواضع أولا، وكذا على القناعة بأن من خصائص العلم "التراكمية"، فآثرتُ الإبقاء على الكلمة، لعلّ الله سبحانه أن يهيئ للأمة من العلماء من يطوّر هذا المنهج، أو يضيف إليه، أو يجبر ما يراه فيه من نقص أو تقصير.

٢. تمهيد

٢.١. تعريفات

"السُنة النبوية" هى كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سيرة، وإن كان علماء الأصول يقصرونها على الثلاثة الأول فقط ، سواء كان هذا قبل البعثة أم بعدها. والسُنة نوعان: الأول: وحيٌ، وهو قسمان، أولهما: الوحيُ معنىً ولفظا، ومقصودٌ به التعبّد، والإعجاز، والتحدي. وثانيهما: لا يُقصدُ منه كذلك، وإن كان وحيا معنىً ولفظا، وهو "الحديث القدسي". وأما النوع الثاني من السُنة فهو ما صدر عن رسول الله ﷺ بدون قصد التبليغ عن الله، لكن الله أقرّه عليه، فهو بمنزلة الوحي وإن لم يكن وحيا في ذاته، وهو الصحيحُ النقلِ عن الرسول ﷺ من أقوال وأفعال وما شابه ذلك [٢] ... وأما "الحديث النبوي" فهو الخبر المأثور عنه ﷺ ، من قول أو فعل أو تقرير، وقد أطلق اصطلاحا على ما رُوى عن رسول الله ﷺ ، وقد أفرد له الأئمة علما سموه "علم مصطلح الحديث"، وعلوما أخرى، مثل: "علم الجرح والتعديل" ... إلخ، وذلك ليتوصلوا إلى تمحيص ما يُروى عن رسول الله ﷺ ، فيقفوا على صحيحه الخالص من شائبات التحريف والتصحيف، وتمييز الناسخ من المنسوخ... ومن علوم الحديث النبوي، أيضا: النظر في الأسانيد، من أجل الاطمئنان على الرواية من الخطأ والوضع، وهذا يستلزم معرفة تراجم الرواة وسيرهم ودرس أخلاقهم وتمييز درجاتهم... ومن هنا اضطروا إلى تقسيم الأحاديث النبوية إلى طوائف شتى، بحسب درجة رواتها - قوةً وضعفا، فمن الأحاديث: الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمنفصل والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك [٣] .

٢.٢. أهمية السُنة في الإسلام

السُنة النبوية تقرر وتؤكد ما ورد في القرآن الكريم من أمور، وتبيّن وتفصّل ما أجمله من أمور أخرى، وتكشف اللثام عما سكت عنه القرآن الكريم، فلم يثبته ولم ينفه، وتضيف إليه الكثير من شئون الدين وأحكامه... وهى المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم مباشرة، وللعلماء أدلة كثيرة لتأكيد هذا، يضيق المقام الآن عن سردها.

إن امتثال السُنة الشريفة والعمل بمقتضاها أمر من أوامر الله تعالى، إذ طاعة الرسول من طاعة الله، وقد وردت بذلك النصوص القرآنية العديدة، مثل قول الله تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ{٧}﴾ [سورة الحشر]، وقد قرن الله تعالى طاعة الرسول بطاعته سبحانه في آيات قرآنية عديدة ، مثل قول الله تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ{١٣٢}﴾ [سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿قلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ{٣٢}﴾[سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ{٢٤}﴾[سورة الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{٣١}﴾[سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٥١}﴾[سور النور]...

كما أمر رسول الله ﷺ بالاستمساك بسنته وحذر من تركها، فقال: (لا ألفينّ أحدَكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه) ، وفي رواية أخرى زيادة: (ألا إن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله)، وقال ﷺ: (عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)، وقال ﷺ: (بلغوا عني ولو آية، وحدّثوا عني ولا تكذبوا، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)... وقال ﷺ في خطبته بحجّة الوداع: (إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم، ولكن رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم، فاحذروا، إني تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه).

٢.٣. الأحاديث النبوية بين الحفظ الإلهي وحرص المسلمين عليها

لقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم، وتكفّل أيضاً بحفظ سنة الرسول ﷺ، وضَمِن بقاءها كما ضَمِن بقاءه، وذلك بنص قوله العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ{٩}﴾ [سورة الحجر]. ويُفهم من هذه الآية الوعدُ القاطع بالحفظ. ولما كانت السُنة مبيّنة للقرآن، فإن حفظ المبيَّن يستلزم حفظ البيان، إذ لا معنى للمبيَّن بدون بيان ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ{٦٤} ﴾ [سورة النحل] .

ومن أشهر العلماء الذين ذهبوا إلى أن السُنة من "الذكر" الذي تكفّل الله بحفظه، ابن حزم الذي عقد فصلا في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" ساق فيه أدلة كثيرة لذلك، ونقل بعضها الدكتور/ سعد المرصفى في بحث قيم له [٤] ، ثم أضاف قائلا: قد يقول قائل: إنما عنى الله تعالى بذلك (أيْ: الذكر) القرآن وحده، لا سائر الوحى الذي ليس قرآنا !! ولكنه ردّ هذا بقوله: هذه دعوى كاذبة مجردة عن البرهان، وتخصيصٌ للذكر بلا دليل ، وما كان هكذا فهو باطل... والذكْر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو سنة يبيّنُ بها القرآن. وممن ذهب إلى هذا من العلماء: عبدالله بن المبارك ، وحين سُئل عن "الأحاديث الموضوعة" (أيْ: المكذوبة والمنسوبة زوراً إلى رسول الله)، قال: تعيش لها الجهابذة، أيْ: سيقيّض الله لها فحول العلماء ليكشفوها ويحذروا الأمة من خطرها. وقال بهذا أيضاً عبد الرحمن بن مهدي، وابن القيم، وجمهور كبير من العلماء [٥].

هذا، ولقد سلّم الصحابة الكرام لسنة الرسول ﷺ ، أقوالا وأفعالا وتقريرات، تسليما تاما، واتبعوها اتباعا دقيقا، والتزموا بأوامرها ونواهيها التزاما كاملا، كما حفظوها وتناقلوها فيما بينهم، وحرصوا على تدوينها في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته، ونقلوها إلى من تلاهم من التابعين، وسار تابعو التابعين على منوالهم... وهكذا بذل علماء المسلمين في الحرص على السُنة وتحقيقها وتنقيتها من دسَّ الوضّاعين وكشف ما قد ألصق بها من أقوال زائفة، جهودا عظيمة، واتبعوا طرقا في التمحيص والتحقيق والتدقيق ما لم يعرفه غيرُهم من البشر، وأسسوا من أجل ذلك علوما لم تعرفها البشرية من قبل، علوما وصل عددها إلى خمسة وستين (٦٥) علما أو ثلاثة وتسعين (٩٣) علما... وصنّفوا الأحاديث النبوية بحسب درجة قوتها والاستيثاق من صدق رواتها، ووضعوا في الصحيح كتبا وموسوعات، وكذا في الضعيف... والخلاصة أن السلف الصالح ضربوا في دقة التوثيق المثل الأعلى الذي احتذاها الغرب من بعدهم في التوثيق العلمي الصحيح.

٢.٤. محاولات التشـــكيك في السُنة النبوية

على الرغم من كل ما بذله علماء المسلمين منذ العهد النبوي ، وإلى قرون عديدة بعده، من جهود مضنية في غربلة الأحاديث النبوية وتحقيقها وفضح الموضوعات وتحذير الناس منها ومن أصحابها الكذابين، وعلى الرغم من خدمة العلماء للسُنة النبوية على مرّ العصور، لكشف الدخيل عليها... على الرغم من كل هذا، جاء مَن يحاول إنكار السُنة أو يشكك في الأحاديث النبوية، وإن كانت صحيحة السند والمتن..!!

وبالرجوع إلى حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: (لا ألفينَّ أحدَكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري...)، وقد ذكرناه سابقا، نجده دالا على معجزة من معجزاته ﷺ، إذ ظهرت هذه الفرق من الناس، قديماً وحديثاً ، الفرق الداعية إلى الاكتفاء بالقرآن

والاستغناء به عن السُنة ، وهم الذين يسـمّيهم البعض "القرآنيين"، وهم في الحقيقة غير هذا... وإنهم ليتباهون بأنهم قرآنيون على الرغم من تناقضهم مع أنفسهم، إذ ينكرون السُنة التى أمر الله تعالى باتباعها لقوله : ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) ﴾ [سورة آل عمران]. إن الذين ينادون بالاكتفاء بالقرآن، لا ينادون بذلك حبًّا فيه، بل هدماً لنصف الدين.

يقول الدكتور/ محمد أبو شهبة (في كتابه "دفاع عن السُنة") [٦] : هناك حديث موضوع يتمسك به الذين لا يريدون اعتماد السُنة في التشريع، هو: (إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه)، وفي رواية أخرى له : (إن الحديث سيفشو عني، فما أتاكم يوافق القرآن، فهو عني، وما أتاكم يخالف القرآن، فليس مني). وقد بيّن أئمة الحديث أنه حديث موضوع مختلق على النبي ﷺ ، وضعه الزنادقة كي يصلوا إلى غرضهم الدنيء من إهمال الأحاديث، وقد عارضه بعض الأئمة فقالوا: عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفاً له، لأننا وجدنا في كتاب الله : ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٧) ﴾ [سورة الحشر]، ووجدنا فيه : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠)﴾ [سورة النساء]. وهكذا نرى أن القرآن الكريم يكذّب هذا الحديث ويردّه. وقد حاول بعض المستشرقين وأتباعهم (من العرب والمسلمين) الذين صنعهم الاستعمار (القديم والحديث) على عينه أن يحيوا ما اندرس من هذه الدعوى الخبيثة، ولكن الله سبحانه هيأ لهؤلاء في العصر الحديث - كما قيّض لأسلافهم قديما - مَنْ وضع الحق في نصابه، وردّ كيدهم في نحورهم [٧] ...

هذا، وهناك أسباب دعت البعض إلى ترك العمل بالسُنة النبوية، نبّه حديث الأريكة المذكور (برواياته) إليها، وهى: الجهل بالإسلام (بأصوله ومصادره)، والكبر وقسوة القلب. وأما شهبة منكري السُنة، فقد ردّ رسول الله ﷺ فى حديثه هذا عليها، وهى قولهم إن القرآن الكريم كاف واف، ويستدلون بمثل قول الله تعالى ﴿ ... مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ{٣٨} ﴾ [سورة الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ{٨٩} ﴾[سورة النحل]. وهؤلاء المنكرون يرفضون الحديث النبوى، ويرون أن مهمة الرسولﷺ كانت تبليغ القرآن فقط ... وهم في الحقيقة لا يريدون القرآن ولا السُنة، ولكنهم لا يجاهرون بذلك حتى لا تلفظهم الأمة، فعمدوا إلى التشكيك في السُنة وحدها، ووجهوا سهامهم نحوها، يحاولون بذلك قطع الصلة بين المسلمين وبين نبيهم ﷺ، سواء كانت سنن قولية أم سنن عملية...

٢.٥. أهداف دراسة الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية

- يتم توظيف دراسات وبحوث الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية في خدمة السُنة والدفاع عنها ضد المشككين في ضرورة العمل بما ورد فيها أو الاهتداء بهديها في نواحي الحياة المختلفة، وخصوصًا أن هذه الدراسات والبحوث تتناول الصحيح من السُنة، وبيان أوجه الإعجاز العلمي في نصوصها، دون اللجوء إلى الأحاديث الضعيفة أو الأحاديث الموضوعة.
- عدّ العلماء بحث وبيان بعض أوجه الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية، الصحيحة المتن والسند، من (دلائل النبوة)، أو (علامات النبوة)، التي تفحم المعاند، وتزيد الإيمان في قلب المؤمن... وقد أدلى السابقون بدلوهم في بيان هذه الدلائل وعرض تلك العلامات، وجمعوا فيها الكثير من الأحاديث، ونذكر منهم أجمعهم وأشملهم، وهو البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) في "دلائل النبوة" [٨] ، وقد سبقه إلى ذلك أبو نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠ هـ) إلى وضع كتاب بنفس هذا العنوان [٩] .
- يتم توجيه نتائج هذه الدراسات والبحوث إلى غير المسلمين كأدلة مقنعة بصدق ما صدر عن الرسول ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات، إضافة إلى كشف كنوز القرآن العظيم، وهذه كلها دلائل علمية في زمن لا يقبل فيه العقلاء من الشعوب المتقدمة علميا وتكنولوجيا بسوى العلم وبيّناته ودلائله.. أيْ إن نتائج هذه البحوث والدراسات تشكل برهانا جليا على أن الأحاديث النبوية من وحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ . لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣)﴾ [سورة النجم].
- إن غير المسلمين حين يرون سرًّا من أسرار المخلوقات قد ظهر بعد تقصّيه بالآلات والأجهزة والمعدّات المتطورة فى هذا العصر فقط ، بالرغم من أنه مذكور (تصريحًا أو تلميحًا) فى القرآن أو فى السُنة، فى زمن لا أجهزة ولا معدّات للبحث العلمي، وقد نطق به رجل أميّ لا يقرأ ولا يكتب، فإن العقلاء منهم لا شك سيدخلون فى الإسلام، إذ يسلِّمون بأن كل هذا لا يستطيعه بشر، بل لا بد وأن يكون مصدره وحىٌ من السماء [١٠] .

- كما يمكن التوجّه بنتائج هذه البحوث والدراسات إلى المرجفةِ قلوبُهم وضعافِ الإيمان من المسلمين، وخصوصًا من الشباب المفتون بعلوم غير المسلمين ومخترعاتهم، وبالتالي نعيد لهؤلاء الثقة بدينهم وسنّة نبيهم... وبعبارة أخرى، فإن نتائج هذه البحوث والدراسات تزيدنا إيمانا بثبوت السُنة النبوية وأصالتها، وأنها علم صحيح ثابت، جمع الكثير مما تحدّث به ﷺ عن زماننا، فكان كما أخبر ﷺ [١١].
- يجب أن تستهدف هذه البحوث والدراسات العلمية في الأحاديث النبوية الأمة الإسلامية، فتدفعها نحو النهوض والارتفاع بها كي تتبوّأ مكانتها التي أرادها الله لها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... {١١٠} ﴾ [سورة آل عمران]. ويتضمن هذا اتخاذ آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ منارات هادية للعلماء في بحوثهم واكتشافاتهم [١٢].
- إن كانت السُنة النبوية ليست فى حاجة إلى من يؤيّد صدقها أو يصدِّق برسالة صاحبها، لكن ذلك فضلُ الله تعالى أراده لخيرية هذه الأمة، حتى يؤيدَ آخرَها بما في السُنة من فيوضات، كما أيّد أوّلها... ولا يُحْرَمُ عصر من العصور من هذا المدد الفيّاض [١٣].
- إن السُنة تتحدث عن علوم ظهرت في عهد النبي ﷺ وشاهدها أصحابه، وجاءت بتبيان رآه مَنْ بقى من أصحاب النبي ﷺ بَعْدَ انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ومنها ما ظـهر بعد ذلك على مرّ العصور، ومنها ما لم يظهر بَعْدُ ولم يأت أوانه ، لكن بدون شك سيظهر في كل عصر ما يُبهرُ أهله ويحملُ اليقين إلى معاصريه في صدق النبي المرسل وصدق الرسالة الخالدة [١٤].
- تستهدف دراسة الجوانب العلمية في السُنة النبوية بيان وجوه الهداية والإرشاد فيها وما تنطوي عليه من حكم علمية وصحية للإنسان، مما يؤدى إلى توسيع دائرة الاعتماد على السُنة، من المجال الفقهي وحده، إلى كافة المجالات الإنسانية والاجتماعية ...

٣. قواعد المنـهج المقترح

٣.١. القواعد اللغوية والضوابط البيانية

٣.١.١. القواعد اللغوية

لا يُتوقعُ فهمٌ لمن لا يعرف لغةً ما لنصٍّ مكتوب بها، فإذا أضفنا إلى ذلك ما تتميز بـه اللغة العربيـة من أساليب متعددة، وما طرأ على المفردات اللغوية من تغيّر فى الدلالات، وما تتسع لـه اللغة العربيـة من الاشتقاق، وغير ذلك مما تحفل بـه مراجع اللغة، بنحوها وصرفها وفقهها وأساليبها وبلاغتها وآدابها ... عرفنا كيف يخطئ فى الفهم، ويقع فى التناقض، مَن يجهل هذه الجوانب اللغوية فى التعامل مع النصوص الواردة بها، وأهمها وأشرفها - بعد كتاب الله تعالى - سُنة رسول الله ﷺ [١٥].

ولا بأس من التعرّف على أقسام اللفظ ، دون تفصيل القول - بهدف الاختصـار ، فمن أقسـامه: (١) وضعُ اللفظ للمعنى، وبهذا الاعتبار يُقسَّم اللفظُ إلى خاص (مطلق ومقيد وأمر ونهى)، وعام، ومشترك . (٢) استعمالُ اللفظ فى المعنى الموضوع لـه أو فى غيره، وهو بهذا الاعتبار يُقسَّم إلى: حقيقة ومجاز، وصريح وكناية. (٣) وضوحُ المعنى وخفاؤه، وبهذا الاعتبار يُقسَّم اللفظ إلى: ظاهر ونص ومُفسَّر ومُحكَم ومُتشابه ومُجمَل ومُشكل .(٤) كيفية دلالة اللفظ على المعنى المستعمل فيه ، وطرق فهم المعنى من اللفظ ، وبهذا الاعتبار تكون دلالة اللفظ على المعنى إما بطريق العبارة أو الإشارة أو الدلالة أو الاقتضاء، أو مفهوم المخالفة [١٦].

٣.١.٢. مراعـاة تعدد مدلولات اللفظ

من خصائص اللغة العربية تعدد مدلولات اللفظ وكثرة معانيه، فهى لغة "متعددة الظلال" (Metaphoric language) – كما يصفها علماء الألسنية (Linguistics)، وعليه، فإن استعمال السابقين من العلماء لمعنى معين لا يمنع من استعمال المعاصرين من الأخذ بمعنى آخر، طالما أنه سيفيد فى تعميق مفهوم اللفظ، أو يعين على بيان إشارة علمية، أو يؤدى إلى توضيح مسألة كونية أو طبية أثبتتها العلوم المعاصرة.. ولا يعنى هذا غضًّا من قدر السابقين، لأنهم بذلوا الجهود واجتهدوا في خدمة اللفظ وبيان مفهوم الحديث بحسب معطياتهم العلمية، فاختاروا من معانيه ما توافَقَ مع معارفهم وما انسجم مع مـا توفّر لديهم فى عصورهم [١٧] ...

وقد تتغير مدلولات الألفاظ العربية من عصر لآخر، كما تختلف من بيئة لأخرى، ولذاك وَجَبَ تحرّى مدلولات ألفاظ الحديث النبوي، لتوقي الأفهام غير السليمة لها فى عصرنا الحاضر [١٨] .

مثال توضيحي: لدينا أحاديث نبوية صحيحة تتوعَّد المصوّرين بالعذاب، والفهم السليم لهذا الوعيد لا يسرى على ما يُسمى (التصوير الفوتوغرافي)، لأسباب، منها أنه لم يكن معروفاً على عهد النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين، وإنما المقصود هو (التصوير المجسَّم) ، أيْ ما له ظل، وقد أجمع علماء السلف على تحريمه في غير لعب الأطفال [١٩].

٣.١.٣. الضوابط البيانية

إذا كانت العربية لغة غنية بالبيان والبديع وصورهما الثرية التي لا تضارعها فيها لغة أخرى فى العالم، فإن رسول الله ﷺ هو أعظم من تكلم بها، وأفصح وأبلغ مَنْ نطق وعبَّر بها، وعليه ففي كلامه تجد صورا بيانية عجيبة، ومن هذه الصور: "المجاز"، وهو ما يخرج باللفظ عن ظاهره، والأمثلة على هذا عديدة فى حديثه الشريف.

وبالرغم من وجود صور بيانية عديدة فى كثير من الأحاديث النبوية، فيجب عدم العدول عن حقيقة اللفظ إلى مجازه فى فهم الدلالة العلمية أو الإشارة الكونية أو الحكَم الصحية للحديث النبوي، إلاّ إذا قامت القرائن واضحة تمنع من ظاهر اللفظ وتَحمله على مجازه ، سواء كانت قرائن مقالية أم قرائن حالية.(وهذه قاعدة أساسية اعتمدها أهل السُنة والجماعة فى تأويل النصوص الشرعية، لأن الأصل فى التخاطب إرادة المعنى الظاهر المتبادر دون خلافه، إذ إرادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون خللاً في الإفادة والاستفادة، وفى ذلك من المفاسد ما لا يخفى) [٢٠] .

أمثلة توضيحية: الحديث القدسي الذي يقول فيه ربُّ العزَّة على لسان رسوله ﷺ : (إذا تقرّب عبدي إلىَّ شبرًا تقرّبتُ إليه ذراعا، وإن تقرّب إلىَّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة) متفق عليه. ردَّ المعتزلة هذا الحديث لأنه يُوهم تشبيه الله تعالى بخلقه فى القُرب المادي والمشي والهرولة، وهو ما لا يليق بكماله سبحانه. إلاّ أن ابن قتيبة ردّ عليهم (فى كتابه "تأويل مُخْتَلِفِ الحديث") بقوله: إن هذا تمثيل وتشبيه، وإنما أراد: مَنْ أتاني مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه، فكنَّى عن ذلك بالمشي والهرولة... ومن الأمثلة، أيضا: حديث رسول الله ﷺ حين قال لنسائه من أمهات المؤمنين: (أسرعكُن لحوقًا بي أطولكُنّ يدا) رواه مسلم في صحيحه. وحديثه الشريف الذي رواه الشيخان في صحيحيهما عن أبى هريرة قول النبي ﷺ : (اشتكت النارُ إلى ربّها ، فقالت: يا رّب أكل بعضي بعضا، فأذِن لها بنفسيْن: نَفَسٌ فى الشتاء، ونَفَسٌ فى الصيف، فهو أشدّ ما تجدون من الحرّ، وأشدّ ما تجدون من الزمهرير). وفي الصحيحين أيضا: حديث رسول الله ﷺ : (الحُمىَّ من فيح جهنم فأبردوها بالماء) . وفي الصحيحين، أيضا، حديث ذبح الموت بين الجنة والنار، وحديث النيل والفرات من أنهار الجنة، وحديث الجنة تحت ظلال السيوف، وحديث الضأن من دواب الجنة، وحديث ما بين البيت والمنبر النبوي روضة من رياض الجنة، وحديث الحجر الأسود من الجنة... إلخ... وهى وغيرها من الأحاديث النبوية التي لا يمكن أن يستقيم فهمها إلاّ إذا خرجت ألفاظُها، أو بعضُ ألفاظِها، عن الظاهر إلى المجاز [٢١] .

٣.٢. توثيق النصوص

من المعروف لدى الباحثين أن النصوص الواردة ليست فى نفس الدرجة من الثبوت والنسبة إلى رسول الله ﷺ ، وعليه فلابد فى البداية ، وقبل بحث جوانب أو وجوه علمية في الحديث، أن نستوثق من ثبوت الحديث وصحة نسبته إلى الرسول ﷺ ، وذلك وفقاً للمعايير التي وضعها "أهل الحديث"، سواء كان هذا مندرجاً فى السُنة القولية، أم فى السُنة الفعلية، أم فى السُنة التقريرية، ويشمل هذا الاستيثاق السند والمتن جميعا.

كما يجب على الباحث أن يكون ملماً بالقواعد العامة والأصول اللازمة فى علوم الحديث، وعلى دراية بمستويات كتب الحديث، وأقسام الصحيح، والمستويات الأخرى للأحاديث، من حَسَنٍ ومقبول ومنقطع... إلخ. وعلى الباحث، أيضا، أن ينقل الحديث

بسنده من الكتب المعتمدة، من صحاح وسنن ومسانيد وجوامع وأجزاء وصحائف أئمة الحديث، وبيان صحته أو حُسنه أو ضعفه أو غيره، وبعبارة أخرى: الوقوف على درجة الحديث والحُكم عليه .

وأما **رواية الحديث**، فمن العلماء من اشترط أن تكون الرواية باللفظ والحروف، ومنهم من رخّص فى روايتها بالمعنى. وقد كان السلف الصالح يحرصون على الرواية باللفظ ويرون أن الرواية بالمعنى رخصة تُقدَّرُ بقدرها، وكان منهم من يتقيد باللفظ ويتحرجون من الرواية بالمعنى، وممن كان يشدد فى الألفاظ : الإمام مالك - رحمه الله ، فقد منع الرواية فى الأحاديث المرفوعة وأجازها فيما سواها (رواه البيهقي عنه فى "المدخل") [٢٢] . ومما ينبغي أن يُعلم، أيضا، أن السلف الصالح استثنوا من الأحاديث التي جَوَّزوُا روايتها بالمعنى تلك الأحاديث التي يُتَعَبَّدُ بلفظها، كأحاديث الأذكار والأدعية والتشهّد ونحوها، كجوامع كلمه ﷺ [٢٣] .

٣.٣. التثبُّت من المعطيات العلمية الحديثة

٣.٣.١. تطـوّر المعارف العلمية

من المعروف أن **الفروض العلمية** ظنون يحاول بها العلماء تفسير بعض الظواهر التي لا يجدون لتفسيرها الواضح دليلا قاطعا . وأما **النظريات العلمية** فهي مجموعة من النتائج تجمع وتنسق لكنها لا تسلم من وجود ثغرات بها أو مآخذ تُؤخذ عليها مع تقدم العلم وتطور أدواته ، وقد تتغير النظرية بمرور الزمن أو يتم إدخال تعديلات عليها أو تُهدم أو ترقى إلى مستوى **"الحقيقة"** [٢٤].
ومن الأحوط أن نشرح الأحاديث النبوية ونبحث دلالاتها العلمية، باليقيني الثابت من العلوم، لا بالفروض ولا بالظنون ولا بالنظريات التي هى محل فحص وموضع تمحيص، إن لم تكن عرضة للإلغاء فى وقت ما مع تقدم العلوم وتوالي الكشوف. إن ربط النصوص الشرعية (قرآنا و سُنة) بالنظريات العلمية المتغيرة، لا الحقائق العلمية الثابتة، قد يؤدي إلى إنكار البعض لهذه النصوص إذا تغيرت النظريات أو تعدّلت أو رُفضت أو هُدمت [٢٥] ...!!.
وبناء على ذلك، فإنه يجب توظيف **الحقائق العلمية القاطعة** في الاستشهاد على سبق الحديث النبوي في بيان أمر من الأمور، أو الإشارة إلى تلك الحقيقة العلمية... وينبغي عدم إخضاع ألفاظ الحديث النبوي أو سياقه العام، أو بعض أجزائه، لتوافق النظريات العلمية الحديثة... **وينبغي عدم اللجوء إلى الفروض والنظريات العلمية إلا إذا كان الحديث النبوي الصحيح بما يتضمنه من إشارات علمية يؤدي إلى الارتقاء بإحدى النظريات العلمية المطروحة إلى مستوى الحقيقة العلمية**. ومن الأمثلة على هذا تلك الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في موضوعات الخلق والإفناء...

٣.٣.٢. نسبية المعارف العلمية

لقد صيغت الحقائق العلمية في القرآن والسُنة بأسلوب بلاغي معجز ، يفهم الناس منه في كل عصر بقدر معارفهم وعلومهم ، وذلك من إعجاز الآية أو الحديث أو النص عموما ، أنه يأتي بما لا ينكره الناس فى عصورهم ، وفى نفس الوقت فإنه لا يوافق الناس على خطأ في معتقداتهم العلمية.
مثال توضيحي: يقول رسول الله ﷺ مشيرًا إلى نجم في السماء : (أتدرون ما بينكم وبين هذا النجم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم ، فقال: (بينكم وبينه خمسمائة عام) [٢٦] . وقد فهم الناس قديماً أن المسافة بين الأرض وهذا النجم هي مسيرة خمسمائة عام بسرعة الدابة، وهو ما كان متاحاً لديهم. أما الناس حديثا فإنهم يفهمون نفس هذا القول النبوي بالسنين الضوئية وليس بسرعة الدابة، فالمسافة بين الأرض وذلك النجم الذي أشار إليه الرسول ﷺ هى خمسمائة سنة ضوئية. ولقد أشار الحديث الشريف إلى ذلك تلميحاً، إذ يستحيل الوصول إلى نجم في السماء على ظهر دابة...

٣.٣.٣. ماذا لو وقع تعارض بين نصّ من الوحي ونظريةٍ أو حقيقةٍ علمية؟

إذا وقع التعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية، رُفضت هذه النظرية، لأن النص وحىٌ من الذي أحاط بكل شيء علما، وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلا على صحة تلك النظرية، وإذا كان النص ظنيا والحقيقة العلمية قطعية يُؤوّل النص

بها... وإذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية، وبين حديث نبوي ظني فى ثبوته، فيؤوَّل الظنيّ من الحديث ليتفق مع الحقيقة القطعية، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيُقدَّم القطعىّ. وعموما، فإنه لا يوجد صدام بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره - على كثرتها - وبين الحقائق العلمية المكتشفة - على وفرتها.

٣.٤. مراعاة التخصص العلمي الدقيق

يجب ألاّ يندسَّ في مجال دراسة الإشارات العلمية للأحاديث النبوية أدعياء العلم أو أشباه العلماء، أو حتى العلماء المتضلعين بعلومهم الدنيوية ولكنهم غير متخصصين في مجال الإشارات العلمية الواردة في الحديث النبوي. ويستتبع هذا، أيضا، التنبيه على أن عالما واحدا لا يستطيع أن يبحث كافة الإشارات العلمية المتنوعة في الأحاديث النبوية، حتى وإن بلغ أعلى المراتب في تخصصه الأكاديمي، بل لابد من مشاركة أصحاب التخصصات المختلفة فيما بينهم لبحث تلك الإشارات، أو اقتصار الباحث على ما يتعلق بتخصصه من إشارات نبوية.

وبالطبع، فإن الأمانة العلمية، التي يؤكدها الإسلام عموما، تُحتم على الباحث أن يُشير إشارةً واضحة إلى المحقق الأول للإشارة العلمية النبوية، إن كان قد سبقه باحث في ذلك، وألاّ يغفل حقه في ذلك... وتُحتم الأخلاق الإسلامية، أيضا، ألاّ يقلل الباحث من قيمة الجهود التي بذلها السابقون عليه في محاولاتهم الجادة لفهم دلالة الإشارة العلمية النبوية.

٣.٥. الوحدة الكلية والإطار العام للحديث النبوي

يجب الإلمام بالوحدة الكلية للحديث النبوي، وبحث إطاره العام، وكذلك دلالاته الجزئية فى ضوء الإطار العام له. ويجب عدم اللجوء إلى اجتزاء ألفاظ أو جُمل من الحديث وبحثها دون مراعاة الإطار العام والوحدة الكلية له... وقد يتضمن الحديث النبوي عدة حقائق علمية أو ظواهر كونية، ومن ثم وَجَبَ علينا أن نستخرج هذه الحقائق ونبيّن تلك الظواهر من هذا الحديث بالطريقة المنهجية الصحيحة [٢٧] .

٣.٦. دور القرآن في دراسة الأحاديث النبوية

إذا كنا دائما نقول إنّ السُنة مفسرةً للقرآن الكريم، ومفصّلةً لمجمله، وكاشفةً لأسراره، وموضحةً لغوامضه، أىْ إنها هى الشارحة لهذا الدستور العظيم، أو هى (المذكرة التفصيلية) له، فلابد إذن أن تدور السُنة فى فلك القرآن، ولا تتعداه، ولا يتعارض منها شئ - ما دام صحيح الرواية والدراية - مع ما ورد بالقرآن العظيم.

وعلى هذا، يجب ربط السُنة الشريفة بالقرآن الكريم عند دراستها وبحث موضوعاتها ، فنأتي بالأحاديث الصحيحة فى موضوع ما ، ونجمعها مع ما وردت به آيات القرآن في نفس الموضوع ، وذلك للاستنارة والاهتداء بهذه الآيات فى فهم نصوص البيان النبوي وحُسن إدراك مراميه .

ومن الأمثلة التوضيحية: الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ: (شاوروهن وخالفوهن)، في شأن النساء، لابد وأن يكون مكذوبا، لأنه ينافى قول الله تعالى - فى شأن الوالدين مع رضيعيْهما: ﴿... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا... (٢٢٣) ﴾ [سورة البقرة]. وحديث الوائدة والموءُودة فى النار، وقد رواه أبو داود وغيره ، وهو حديث لابد وأن يكون باطلا ، لأنه ينافي قول الله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت (٨) بأى ذنب قتلت (٩) ﴾ [سورة التكوير]...

٣.٧. خطــورة ردّ الأحاديث الصحيحة

يجب احترام كل حديث صحيح محقق ثابت عن رسول الله ﷺ ، حتى وإن عجز الباحث عن فهمه، ولكن عليه التسليم به، والتوقف عن التجرّؤ بردّه، أو الادّعاء الكاذب بعدم نسبته إلى الرسول ﷺ، مادام قد أثبتـه المحققون من أهل الحديث، وتحققوا من صحة سنده ومتنه، وحكموا بقوته، أو صحّته..

إن ردّ الأحاديث الصحيحة، أو الحُكم بعدم صحّتها، لا يمكن أن يفيد فيه رأي فردى، بل لابد وأن يكون رأياً علمياً متخصصا، ومن جمهور مشهور له بالعلم والصدق والنزاهة والتخصص في علوم الحديث وعلوم أخرى تدخل فيما يتحدث عنه الحديث، كعلوم الكون أو العمران أو الطبيعة... وإن كل ما في السُنة الصحيحة معتمد على أصل القرآن ومردود إليه، ومقيد به، فلا يناقضه أبدا، فالقرآن هو (الميزان) الذي نزن به الأحاديث الصحيحة، فما كان منها متفقاً مع أصول القرآن، فلا مجال للبحث فيه، و ما كان منها متناقضاً مع القرآن، وكان التناقض قطعياً لا سبيل فيه إلى التوفيق، فهذا هو الذي يصح أن نقف عنده، ونبحث فيه عن صحة الحديث وقوته.

إن المعتزلة (وهى الفرقة التي ظهرت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي) من أهم الفرق التي كانت تبادر بردّ الأحاديث الصحيحة إذا عارضت مذهبهم أو لم توافق مسلماتهم ومعتقداتهم، وقد وضع الإمام أبو محمد بن قتيبة (ت٢٦٧هـ) كتابا عنوانه "تأويل مُخْتِلفِ الحديث" [٢٨] للردّ على مزاعم هؤلاء القوم، ودعاواهم التي يدّعون بها أن بعض الصحاح يعارض القرآن، أو يخالف العقل، أو يكذّبه العيان، أو يناقض أحاديث أخرى... كما ألف الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ) كتابه "مشكل الآثار" [٢٩] لبحث هذا الموضوع ودراسة الأحاديث المشكلة والبحث لها عن تأويلات مقبولة.

متى يكون الحديث النبوي مخالفاً للعقل ؟ وهل يجوز إنكار الحديث لمخالفته للعقل؟ إن العقل المقصود هو مجموع عقول العقلاء من أهل الاختصاص في المسألة التي يتحدث عنها الحديث النبوي، فإن كان الحديث يبحث في الطب فإجماع الأطباء يكون هو المقصود بالعقل، وإن كان الحديث يبحث في التشريع ، فإجماع علماء التشريع هو المقصود بالعقل... ويبقى الحديث النبوي (في مسألة معينة) مؤيَّداً من عقول بعض المتخصصين، ومُعَارضاً من البعض، وهذا في حالة عدم الإجماع على صحته، وهذا لا يلغي العمل بالحديث النبوي [٣٠].

٣.٧.١. مثال توضيحي: أحاديث التواضع

حديث الرسول ﷺ: (اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين)، وهو الحديث الذي أخطأ ابن الجوزي عندما حكم عليه بالوضع، تأسيسا على مخالفته للقرآن الكريم في قــول الله تعالى: ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾ [سورة الضحى]، وهو الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري، ورواه الطبراني عن عبادة بن الصامت عن رسول ﷺ. فلقد فهم بعضهم من المسكنة الفقر من المال، والحاجة إلى الناس، وهذا ينافى استعاذة النبي ﷺ من فتنة الفقر، وسؤاله من الله تعالى العفاف والغنى... والحق أن (المسكنة) هنا لا يراد بها الفقر، إنما المراد بها التواضع وخفض الجناح، أراد به التواضع والإخبات، وألاّ يكون من الجبّارين المتكبرين [٣١] .

٣.٧.٢. مثال توضيحي: أحاديث الشفاعة

ومن الأحاديث النبوية التي ردّها المعتزلة تلك الأحاديث الصحيحة التي تثبت الشفاعة للرسول ﷺ في الآخرة، وكذلك لإخوانه الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين، في عصاة الموحدين، ويزعمون أن القرآن ذاته نفى الشفاعة، بمثل قول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ{١٨}﴾ [سورة يونس]. وفى الحقيقة، فإن هذه **شفاعة شركية** أبطلها القرآن بأكثر من آية، فقد أبطل أن تكون للآلهة المزعومة شفاعة، وأن يكون للمشركين شفيع يطاع : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ{١٨}﴾ [سورة غافر]. هذا، وأحاديث الشفاعة كثيرة، وهى أحاديث صحيحة ثابتة، منها قول رسول الله ﷺ: (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ، ويُسَمَّوْن الجهنميين) رواه أحمد والبخاري.

٣.٧.٣. مثال توضيحي: حديث خلق العالم

لقد ثارت الزوابع - ولا تزال - حول حديث خلق الكون الأرضي، المروى فى صحيح مسلم، أكثر مما ثار حول (حديث الذباب)، هذا على الرغم من أنه حديث صحيح. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل). وقد درس الدكتور/ سعد المرصفي هذا الحديث وناقش قضيته بعد أن جمع بين أطراف النقاش المحتدم، وذلك في بحثه القيم "مشكل الحديث" [٣٢]، ويمكن الرجوع إليه لمن أراد التفصيل...

٣.٧.٤. مثال توضيحي: حديث الذباب

اتخذ بعض مَنْ لا دين لهم (حديث الذباب) تكئة للتنديد بالدين، وأنكره بعض ضعاف الإيمان، وحاول المستنيرون من المتدينين أن يبحثوا عن تأويل مقبول له، لمواجهة استهجان بعض المتخصصين فى العلوم والطب، أو سخرية البعض الآخر من نص هذا الحديث النبوي. ومن رواياته: روى البخاري فى صحيحه وابن ماجه فى سننه عن أبى هريرة قول رسول الله ﷺ : (إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه ، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء). هذا، وقد وضعنا بحثا في الموضوع، وهو منشور على كثير من مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ناقشنا فيه صحّة الحديث وبحثنا حُكمه، وأوضحنا الآراء المختلفة في فهمه، وإن كان خاصًّا أو عامًّا... [٣٣]

٣.٧.٥. مثال توضيحي: حديث الفأرة

هذا الحديث هو الآخر حديث نبوي صحيح من الأحاديث التي ردَّها البعض وأنكرها، أو سخر منها بعض الجهلاء، أو استهجنها مَنْ لا علم له، إنه حديث صحيح أورده البخاري فى جامعه الصحيح، والحديث بلفظ أبى داود: عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وقعت الفأرة فى السمن، فإن كان جامدًا فألقوها وما حولها، وإن كان مائعا فلا تقربوها). وقد ناقش الدكتور/ عبد البديع زللي هذا الحديث النبوي، فى بحث قيم، وألقى بعض الضوء على وجه الإعجاز العلمي فيه، ويمكن الرجوع إليه لمن أراد التفصيل [٣٤] ...

٣.٨. خطــورة ردّ أحــاديث الآحــاد

قبل أن نوجز القول فى أحاديث الآحاد - وهى أحاديث صحيحة فى الغالب - وحُجيتَّها وخطورة ردّها، نُعرّف بالقسم الأول من أقسام الصحيح، وهو (**الحديث المتواتر**) . وخلاصة القول فيه أنه خبر أقوام بلغوا في الكثرة إلى حيث حصل العلم بقولهم. ولم يخالف أحد من أهل الإسلام ولا من العقلاء فى أن خبر التواتر يفيد العلم. ولكن، **متى يفيد المتواتر العلم الضروري؟** لا يكون الخبر المتواتر مفيد للعلم الضروري إلاّ بشروط ، منها ما يرجع إلى المخبرين، ومنها ما يرجع إلى السامعين [٣٥] . أما **خبر (حديث) الآحاد**، فقد قال الجمهور فى تعريفه : هو خبر لا يفيد بنفسه العلم، سواء كان لا يفيده أصلاً أم يفيده بالقرائن الخارجة عنه. أو هو ما لم ينته بنفسه إلى التواتر، سواء كثر رواته أم قلّوا. أو هو الذي لم يصل نقله مبلغ الخبر المتواتر. أو هو الذي لم يجمع شروط المتواتر... وقد فهم كثير من الناس خبر الآحاد على أنه ما رواه واحد، وهذا فهم خاطئ تماماً [٣٦] .

٣.٨.١. إنكار حُجّية أحاديث الآحاد

كانت بدعة عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد من مزاعم الخوارج والرافضة والمعتزلة (وهى الفرق التي ظهرت في عصور سابقة من التاريخ، ولا يزال لهم الآن من يحاول إحياء أفكارهم المريضة). أما **الخوارج** فهى فرقة ظهرت أثناء الخلاف بين علىّ ومعاوية رضى الله عنهما، وظهرت منهم جماعة يقولون بالقرآن فقط ، وعدم الاحتجاج بالسُنة، وردّ كثير من الأحاديث الثابتة. وأما **الرافضة** فهم الذين رفضوا زيد بن علىّ بن الحسين ﷺ حين سئل عن أبي بكر وعمر- رضى الله عنهما- فمدحهما، فانصرفوا عنه. وهم لم يردّوا أحاديث الآحاد فقط ، بل ردّوا السُنة عموما، ورفضوا أحاديث صحيحة لأنها لا توافق معتقداتهم.

وأما **المعتزلة** فهم فرقة ظهرت فى القرن الثاني الهجري بالبصرة واعترفوا فقط بالمتواتر من الأحاديث ولم يعترفوا بأحاديث الآحاد، وأطلقوا ألسنتهم في النيل من الصحابة، وكانوا يحكّمون أهواءهم في الأحاديث بصفة عامة، مما يوضح محاربتهم للسُنة [٣٧].

٣.٨.٢. شروط العمل بأحاديث الآحاد

تتنوع هذه الشروط بين شروط في الراوي (المُخبِر)، وشروط في مدلول الحديث (المُخبَر عنه)، وشروط في اللفظ الدال (الخبر نفسه). أما التفاصيل فيعرضها صاحب كتاب "الحديث في علوم القرآن والحديث" ، وأما موجزها فتتلخص فى **شروط الراوي** الخمسة، وهى: (١) **التكليف** ، فلا تُقبل رواية الصبي أو المجنون. (٢) **الإسلام** ، فلا تُقبل رواية الكافر إجماعا. (٣) **العدالة** ، وتتضمن استقامة السيرة والدين. (٤) **الضبط** ، فلابد أن يكون الراوي ضابطاً لما يرويه، وعلى ثقة منه في حفظه وقلة سهوه وغلطه. (٥) **ألاَّ يكون الراوي مدلّسا**، سواء في المتن أو الإسناد، فلا يزيد في كلام الرسول ﷺ ، فيظن السامع أن جميع الكلام من عند الرسول ﷺ ، و لا يدلس في الإسناد كأن يبدل الأسماء أو يسمى شخصاً باسم غير معروف به، ... إلخ . وأما **شروط مدلول الخبر، وشروط لفظ الخبر** نفسه، فإنها مشروحة في المرجع المذكور، الذي ذهب صاحبه إلى أن خبر الآحاد لا يضره عمل أكثر الأمة بخلافه، ولا يضره عمل الراوي له بخلافه، ولا يضرّه كونه ما تعم به البلوى، ولا يضرّه كونه زيادة على النص القرآني أو السُنة القطعية، ولا يضرّه كون راويه انفرد بزيادة فيه على ما رواه غيره إذا كان عدلاً، فقد يحفظ الفرد ما لا تحفظه الجماعة.. [٣٨].

٣.٨.٣. حُجّية أحاديث الآحاد

ناقش الدكتور/ محمد فؤاد شاكر هذه القضية، وأورد العديد من الأدلة على حُجية العمل بخبر الآحاد، سواء أدلة من القرآن أم من السُنة أم من الإجماع ، ويمكن الرجوع إلى كتابه لمعرفة التفصيلات [٣٩]... وعلينا أن نعلم بأهمية أحاديث الآحاد إذ ثبتت عن طريقها أمور عظام، نذكر منها: الشفاعة العظمى للرسول ﷺ في المحشر - معجزاته ﷺ كلها ما عدا القرآن (ومنها: معجزة انشقاق القمر التي جاءت الأحاديث الصحيحة تصرّح بها) - أحاديث بدء الخلق وصفات الملائكة والجن - أحاديث الحجر الأسود من الجنة - أحاديث أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة - أحاديث عذاب القبر والصراط والعرش والكرسي - أحاديث أشراط الساعة كخروج المهدي وخروج الدجال ودابة الأرض.... إلخ.

٣.٩. الموقف من الأحاديث الضعيفة

إن الأحاديث الموضوعة، أو المكذوبة، أو الضعيفة، أو المنكَرة، خطرٌ كبير على الأمة، وتطاولٌ عظيم على الرسول ﷺ، لأنها أقوال لفقها البعض ونسبها زورا إلى الرسول ﷺ، أىْ إن هؤلاء أدخلوا فى الدين ما ليس منه، حتى وإن حسُنت نياتهم... ونظرا لخطورة الوضع وضرره على الإسلام، انبرى بعض العلماء، من الأقدمين ومن المحدثين، للتصدي لهذه الأحاديث الموضوعة والضعيفة وتفنيدها وكشفها وفضحها، عموما، حتى أن كثيرا من السلف كانوا أول ما يبدأون به فى تعليم تلاميذهم من الحديث تعليمهم ما لا أصل له، وما لم يثبت عن النبي ﷺ ، حرصا منهم على كشف كل ما يُنسب إلى الرسول ﷺ وهو منه برئ... ومن العلماء المسلمين المحدثين الذين درسوا (الوضع فى الحديث) من جوانب شتى: الدكتور/ عمر فلاته، فقد حصل على درجة العالمية (الدكتوراه) من كلية أصول الدين جامعة الأزهر، فى هذا الموضوع، خلال عام ١٣٩٧ هـ (الموافق عام ١٩٧٧ م)، ثم نُشرت هذه الرسالة فى ثلاثة مجلدات فيما بعد. وقد خصص الباحث الباب الثاني من هذه الدراسة لمعرفة "الموضوعات" [٤٠] ... إنه يمكن الكشف عن الحديث الموضوع من دراسة (سنده)، والسند هو الإخبار عن طريق المتن، أو هو الطريق الموصّل إلى المتن. كما أن علماء الحديث وضعوا ضوابط لتحرّي متون الأحاديث التي وصلت إليه وعرضها على أصول الشريعة ومقاصدها وإخضاعها للنقد داخلياً وخارجيا. إنها ضوابط لتمييز الصحيح من الباطل والصادق من الكاذب... وإذا أردنا شيئا من التفصيل، فإن **عمليات الوضع في (المتن)**، قد تكون بإنشاء الواضع كلاماً من عند نفسه، ثم ينسبه إلى النبي ﷺ ، مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعا: (شرب الماء على الريق يعقد الشحم). أو يأخذ الواضع كلاماً لبعض الصحابة أو التابعين أو الحُكماء أو من

الإسرائيليات وغيرها، فينسبه إلى النبي ﷺ ، وذلك ترويجاً له. ومن هذه الأحاديث: (المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء).. ولخطورة هذا الأمر، هناك ضوابط للكشف عن الأحاديث الموضوعة متناً، ضوابط إجمالية وأخرى تفصيلية. فمن الضوابط الإجمالية: **أن يكون الحديث مخالفاً لصحيح القرآن** (مثل الحديث: عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة) . **أو يكون مخالفاً لصريح السُنة الصحيحة المتواترة** (مثل حديث: مَنْ وُلد له مولود فسماه محمدا تبركاً به، كان هو ومولوده في الجنة) . **أو تكون ألفاظ الحديث ركيكة أو معانيها مما لا يتفق مع العقل السليم أو لا يقبل التأويل المحمود** (مثل حديث: مَنْ فارق الدنيا وهو سكران، دخل القبر سكرانا، وبعث من قبره سكرانا، وأُمر به إلى النار سكرانا)، وحديث: الباذنجان شفاء من كل داء، ولا داء فيه) . **أو يشتمل الحديث على كلام ليس من جنس كلام الأنبياء بل أشبه بوصفات الأطباء والطرقيين** (مثل حديث: جاء رجل الي النبي ﷺ فشكا إليه قلة الولد، فأمر أن يأكل البيض والبصل). أو يرد في الحديث تاريخ معين لوقوع فتنة أو زوال نعمة أو هلاك أمة أو ما نحو ذلك (مثل حديث: تُرفع زينة الدنيا سنة خمسة وعشرون ومائة) ... إلى غير ذلك من الضوابط الإجمالية والتفصيلية التي شرحها صاحب كتاب "الوضع في الحديث" [41] .

وبعد، **فما هو الموقف من الأحاديث الضعيفة** (أو الموضوعة أو المكذوبة، أو ما شابه هذا أو ذاك) في المنهج الذي نضع الآن قواعده وضوابطه؟ إذا كان المحدثون قد اتفقوا على أن الحديث الضعيف يجوز العمل به في الترغيب والترهيب فقط ، فإن العلاّمة أحمد محمد شاكر ذكر (في كتابه " الباعث الحثيث اختصار علوم الحديث") ما أجازه بعضهم من رواية الضعيف من غير بيان ضعفه بشروطه، ثم قال: (والذي أراه أن بيان الضعف في الحديث الضعيف واجب على كل حال، لأن ترك البيان يوهم المطلع عليه أنه حديث صحيح ...) [42] وقد ذهب الدكتور/ يوسف القرضاوي إلى القول بـ (إنه إذا كان لدينا في الموضوع الواحد حديث أو أكثر من صنف الصحيح والحسن، وحديث أو أكثر من صنف الضعيف، فالأجدر بنا أن نستغني بما لدينا من الصنف الأول عن الثاني، ولا داعي لأن نعبئ حوافظنا من الضعيف، فإن ذلك سيكون حتماً على حساب الصحيح) [43] .

٣.١٠. الشرح الموضوعي للسُنة النبوية

يجب جمع الأحاديث الصحيحة التي تشير تصريحاً أو تلميحاً إلى الحقيقة الكونية أو الطبية، وكذلك روايات الحديث الواحد، وردّ متشابِهها إلى مُحكمها، وحَمل مطلقها على مُقيَّدها، وشرح عامّها بخاصّها، بهدف دراستها وبيان ما تدلّ عليه من حقائق علمية أو حِكم صحية. ونؤكد خطورة الاقتصار في فهم الظاهرة الكونية، أو الحقيقة الطبية، على حديث نبوي واحد، أو رواية واحدة للحديث النبوي. إذ قد لا يتبيّن هذا إلاّ في ضوء بقية الأحاديث في الموضوع الواحد، أو بقية الروايات التي وردت في كتب الحديث لهذا الحديث أو ذاك [٤٤] .

أما ما دون الصحيح من الأحاديث النبوية، فيمكن الرجوع إليه إذا كان موافقاً للصحيح (كما أشرنا في موضع سابق من المنهج الحالي)، أو متفقاً مع حقيقة كونية أو طبية. وبعبارة أخرى، فإنه في حالة ثبوت معطيات الحقائق العلمية، ودلّ عليها حديث ضعيف، فإنه يكون شاهداً لها، وإن كنا نفضل عدم التوسّع في الرجوع إلى ما دون الصحيح من الأحاديث .

مثال توضيحي: ورد في صحيح البخاري (كتاب المزارعة) عن أبي أمامة الباهلي حين نظر إلى آلة حرث (محراث)، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يدخل هذا بيتَ قوم إلاّ أدخله الله الذلّ) . وظاهر الحديث يفيد كراهية الرسول ﷺ للحرث والزراعة، لأنها تفضي إلى ذلّ العاملين فيها. إلاّ أن هذا الحديث تعارضه نصوص صحيحة صريحة أخرى، سواء في السُنة التقريرية أم في غيرها، ففي **السُنة التقريرية** وجد الرسول ﷺ الأنصار أهل زرع وغرس، فلم يأمرهم أن يتخلوا عن غرسهم وزرعهم، بل فصّلت السُنة الشريفة أحكام المزارعة والمساقاة وإحياء موات الأرض .. إلخ . ومن **السُنة القولية**، ما رواه الشيخان وغيرهما عن رسول اللهﷺ: (ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) [٤٥].

وعموما، فإنه إذا بدا هناك تعارض (ظاهري) فيما بين الأحاديث المتوفرة لدينا في نفس المحل، فعلينا تطبيق قاعدة الجمع والتوفيق، فإذا زال التعارض فبها ونعمت، وإلاّ فعلينا أن نطبق قاعدة الترجيح والتفضيل، على نحو ما سنوضح فيما بعد .

٣.١١. تخصيص العُمـــوم

وردت أحاديث نبوية عديدة في مناسبات خاصة وظروف معينة، وبالرغم من ذلك، سحب البعض ألفاظها وعباراتها لتعمّ وتشمل ولا تخصّ أو تقصر، أيْ بالرغم من أن هذه التوجيهات الصحيحة والإرشادات الطبية، النبوية، ليست عامة لجميع البشر، أو مفيدة في كل البيئات أو نافعة لجميع الأحوال، فإن البعض وجّهها توجيها عاما، ولم يفقه التخصيص الوارد فيها، بعد دراسة ظروفها، وربما يكون قد استند في تعميم الخاص استنادا إلى القاعدة المعروفة: (العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب) في قوله، ولكنها قاعدة لا تفيد في هذا المقام ..

أمثلة توضيحية: تحدّث ابن قيّم الجوزية في كتابه "زاد المعاد في هدى خير العباد" عن (هديه ﷺ في علاج عِرْق النَّسا)، وقال: روى ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (دَوَاءُ عِرْق النَّسا أَلْيةُ شاةٍ أعرابيَّةٍ تُذَابُ، ثم تُجزأ ثلاثةَ أجزاء، ثم يُشْرَبُ على الريق كل يوم جزء) . وبعد أن تحدّث ابن القيم في تعريف عرق النَّسا، وفي المعنى اللغوي، وصل إلى المعنى الطبي، فقال: وأما المعنى الطبي، فقد تقدم أن كلام رسول الله ﷺ نوعان: أحدهما: عام بحسب الأزمان، والأماكن، والأشخاص، والأحوال. والثاني: خاص بحسب هذه الأمور أو بعضها، **وهذا الحديث من هذا القسم الخاص**، فإن هذا خطاب للعرب، وأهل الحجاز ومَنْ جاورهم، ولا سيما أعراب البوادي، فإن هذا العلاج من أنفعه لهم [٤٦] . والذي ينبغي الانتباه إليه من كلام ابن القيم، والذي كرره في "زاد المعاد" في أكثر من مناسبة، هو أن كثيرا من الأحاديث الواردة في الطب ونحوه لا تؤخذ على عمومها وإطلاقها، فكثيرا ما تكون مخصوصة بظرف معين، أو مكان معين، أو حال معين، لا يحسُن تعديته إلى غيره [٤٧] .

ومن الأمثلة الأخرى في مجال التخصيص: حديث تحريم لحوم البقر، وله عدة روايات، وقد تحدث عنها ابن قيم الجوزية (في كتابه "مفتاح دار السعادة") [٤٨] ، ومن هذه الروايات: (عليكم بألبان البقر، فإنها دواء، وأسمانها فإنها شفاء، وإياكم ولحومها، فإن لحومها داء). ونحوه عن صهيب: (عليكم بألبان البقر، فإنها شفاء، وسمنها دواء، ولحمها داء). ومثله: (ألبان البقر شفاء، وسمنها دواء، ولحومها داء)... ومن الأحاديث النبوية التي تخصص ولا تعمم، أيضا: (عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت)، (من تصبَّح سبع تمراتٍ عَجْوَة لم يضره ذاك اليوم سمٌّ ولا سِحْر)...
هذا، وهناك قاعدة من القواعد المتعلقة بموضوع (تخصيص العموم) ، هى **(الحصر النسبي)**، أىْ الحصر غير المطلق، في حديث الرسول ﷺ، وهو من أساليب بلاغة الرسول ﷺ في التعبير، وذلك لجذب الانتباه، ولكن دون أن يقصر قصراً حقيقيا . ومثال ذلك ما أورد صاحب كتاب "في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث " حديث الرسول ﷺ : (الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي) رواه البخاري . ثم قال : ليس مراد النبي ﷺ حصر الشفاء في ثلاثة أدوية، ودليل ذلك أنه ﷺ وصف غير هذه العلاجات الثلاثة في مناسبات أخرى [٤٩] ..

٣.١٢. معرفة أسباب الورود

حظيت أسباب نزول القرآن بالمؤلفات والمصنَّفات، إلا أن أسباب ورود الحديث النبوي لا تزال بحاجة إلى جُهد وبحث وتصنيف، وذلك لأن الحديث النبوي يعالج الكثير من الأمور الجزئية والمسائل الفرعية والمشاكل الموضعية والتفاصيل الخاصة، مما لم يتناوله القرآن. ومن هنا، يجب على الباحث أن ينتبه للظروف والملابسات التي ورد فيها الحديث النبوي، حتى يمكن أن يفهمه فهماً سليماً، وأن يستنبط منه ما يمكنه الاستنباط [٥٠] . ولقد كان للصحابة والتابعين منهجهم في فهم الأحاديث على ضوء أسباب الورود، فلقد تركوا العمل بظاهر بعض الأحاديث، حين تبيّن لهم أنها كانت تعالج حالة معينة في زمن النبوة، ثم تبدلت تلك الحال عما كانت عليه. ومن الأمثلة التوضيحية: **خراج الأرض**، فقد قسّم النبي ﷺ خيْبر بين الفاتحين، ولكن عمر بن الخطاب ﷺ (فى عهده) لم يقسَّم سواد العراق، ورأى أن يُبقيه فى أيدي أربابه، ويفرض الخراج على الأرض، ليكون مددًا دائما لأجيال المسلمين [٥١] .

ومن الأمثلة التوضيحية، أيضا: **حديث (أنتم أعلم بشئون دنياكم):** يلوك البعض - وخصوصا العلمانيون وغيرهم ممن يسعون إلى عزل الشريعة الإسلامية عن مناشط الحياة المختلفة - جملة (أنتم أعلم بشئون دنياكم)، ظنا منهم أن النبي ﷺ نفسه يدعو إلى ذلك، ولكنهم أغبياء إذ لم يعرفوا الحديث النبوي بأكمله، ولم يتعرفوا على مناسبته، ولم يفقهوا مراميه... والحادث مروى فى صحيح مسلم عن طلحه بن عبد الله قال: مررتُ مع رسول الله ﷺ فى نخل، فرأى قومًا يلقحون النخل، فقال: (ماذا يصنع هؤلاء ؟) قالوا:

يلقحون النخل، يأخذون الذكر فيجعلونه فى الأنثى فيلقح. فقال ﷺ: (ما أظن ذلك يغنى شيئاً)، وفى رواية رافع: (لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيراً)، فتركوه ونزلوا عنها، فنقصت (أىْ: سقط ثمرها)، وقيل: صار شيصاً (أىْ: ثمرا لا يؤكل). فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال: (إنما هو الظن، إن كان يغنى شيئاً فاصنعوه، فإنما أنا بشر مثلكم، وإن الظن يخطئ ويصيب، وأنتم أعلم بشئون دنياكم، ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله) ... وإذا كان البعض يرى أن الرسول ﷺ في هذه الحادثة قد أشار على الأنصار برأي ظني فى التأبير، وهو ليس من أهل الزراعة، وقد نشأ بواد غير ذي زرع، فظنه الأنصار أمراً دينياً، فتركوا التأبير، فكان تأثيره سيئاً على الثمر، إلا أن صاحب "موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي" له رأى آخر في فهم هذا الحديث ومناقشته، فهو يرى أن هذه الحادثة كانت للتربية والتدريب على اتباع المنهج العلمي الصحيح، لأن المنهج الذي كان متبعًا فى العالم زمن الرسول ﷺ، هو المنهج الإغريقي الذي لا يعتمد على الملاحظة والتجربة كأساس للبحث العلمي... إن الذي يتدبر الحديث الشريف، يجد فيه تأسيسا للمنهج التجريبي الصحيح، وهدماً للمنهج الإغريقي الذي كان سائداً في عصر نزول الرسالة ... فسؤال الرسول ﷺ: (ماذا يصنع هؤلاء ؟) سؤال مَنْ يعلم ، فليس مِنَ المقبول عقلاً أن الرسول ﷺ لم يكن يعلم تلقيح النخل، وهو الذي عاش فى الصحراء، وسافر إلى الشام في قوافل التجارة، بل وهو الذي كلّفه الله تعالى بأن يعلّم الناس ما لم يكونوا يعلمون من أمور حياتهم الدنيا. إذن، فقد ثبت أن سؤال رسول الله ﷺ كان سؤال مَن يعلم، كأسلوب تعليمي وتربوي. أما قوله ﷺ : (ما أظن ذلك يغنى شيئاً)، فهو تعليم للناس، وهو مدخل علمي صحيح لبحث أية مسألة علمية، إذ **لابد من وضع الفرض الظني فى تجربة تطول مدتها حتى تظهر نتائجها**، وقد حدث ما أراده الرسول ﷺ منهم، فقد نزلوا عن النخل وتركوا تلقيحه، فظهرت نتيجة التجربة سلبية ، فقد قال طلحة: (فصار شيصاً)، وأظهر للناس أن الفرض الظني لم يكن صحيحاً، ليس بقول نظري، بل عن تجربة وعلم (مشاهدة) ... لذلك قال رسول الله ﷺ : (إنما هو الظن)، ثم يزيد الرسول ﷺالأمر وضوحاً بقوله: (وإن الظن يخطئ ويصيب)، وهو شرح لماهية الفرض الظني، أو الفرض العلمي ... ولم يقل: وأنا أخطئ وأصيب، أبداً، لم يقل ذلك، لأن الرسول ﷺ عصمه ربه عزّ وجلّ من الزلل والخطأ. وقوله ﷺ (أنتم اعلم بشئون دنياكم) ، **ليس أنتم أعلم بشئون دنياكم منىّ، وإنما أنتم أعلم بشئون دنياكم من بعضكم البعض**، وهو ما لم يفهمه البعض، ففهموا هذه الجملة فهماً مخطئاً، واتخذوه مبررا لعزل الهداية النبوية عن جميع الشئون الحياتية والأمور المعاشية والمسائل الدنيوية ...[٥٢] !!

٣.١٣. الثابت والمتغيّر في الأحاديث النبوية

هناك العديد من الأحاديث النبوية، توضح الدراسة المتأنية لها شيئين، أحدهما: **هدف** الحديث، والآخر: **الوسيلة** لتحقيق الهدف. وعلى الباحث أَلاَّ يخلط بين هذين، فيخطئ في فهم الحديث، كما يجب أَلاَّ يهتم الباحث بالتركيز على الوسيلة وينسى الهدف أو المقصد العام الذي ورد الحديث من أجله. وهذا يعنى أن بالحديث النبوي ثابت ومتغير، أما **الثابت** فهو الهدف والمقصد، وأما **المتغير** فهو الوسيلة، وهى تختلف من عصر إلى عصر، ومن شعب إلى شعب، ومن بيئة إلى بيئة.

ومن الأمثلة التوضيحية لذلك ما روى في كتب الصِّحاح من حديث رسول الله ﷺ : (صوموا لرؤيته – أىْ: الهلال – وأفطروا لرؤيته، فإن غُمِّ عليكم فاقدروا له)، وفى لفظ آخر: (فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين). فالهدف هو صوم رمضان كله، وعدم تضييع يوم منه، وأما الوسيلة فكانت الرؤية بالنظر، وهى الوسيلة السهلة المتاحة لعامة الناس فى ذلك العصر، ولم يكلفهم بوسيلة أخرى كالحساب الفلكي لأنهم كانوا أمة أمية، لا تكتب ولا تحسب، فإذا لجأ الناس إلى استعمال وسيلة أخرى تؤدى إلى دقة تحرّي الهلال فلماذا نرفضها ؟! ... إن الأخذ بالحساب الفلكي القطعي الآن، إنما هو وسيلة لإثبات الشهور، ينبغي قبولها من باب، " قياس الأولى" فالسُنة التي شرعت لنا الأخذ بوسيلة أدنى، لا ترفض الأخذ بوسيلة أعلى وأكمل وأوفى بتحقيق الهدف [٥٣] .

٣.١٤. الجمـع والتوفـيق بين النصوص الصحيحة المتعارِضة

بدايةً، نقول: إن الاختلاف في النصوص ليس ذاتيا، وإنما هو اختلاف ناشئ من التقصير في تحصيل الناظر فى نصوص السُنة. ولا يمكن أن يكون الاختلاف فيما بين النصوص ذاتياً لأن مصدرها واحد. وأكثر من هذا، فإن هذا المصدر له عصمة الوحي من الله، ولذلك لا يمكن أن يكون فيما بين النصوص الثابتة الصحيحة أىّ اختلاف، بل مصدر الاختلاف يأتي من قصور في كفاءة الباحث [٥٤] .

وعموما، **فإذا بدا وجود تعارض ظاهري بين متون بعض الأحاديث النبوية وبين بعضها، فعلينا وضع كل منها فى مكانه الصحيح، ومحاولة التوفيق فيما بينها، أو التأليف بين مُختلفها. أما إذا عجزنا عن هذا، فعلينا اللجوء إلى قاعدة أخرى، هى قاعدة الترجيح، أو التفضيل بين هذه الأحاديث.** ويعّرف علماء الأصول **"التعارض"** بأنه تقابل الدليلَيْن على سبيل الممانعة، ويعرّفه علماء الحديث بأنه الأحاديث التي تتعارض في الظاهر، ويطلقون عليه "مُختلَف الحديث". أما الجمع والتوفيق بين مختلف الحديث، فهو مقدَّم على الترجيح، وله أهميته لأنه يدل على استيعاب السُنة لجوانب الموضوع الواحد، على الرغم من ورود الروايات على ألسنة رواة متعددين، وفى مواقف متعددة، وفى أزمان متعاقبة، فطبيعة البيان تقتضي هذا التعدد، بحسب المبيَّن لهم، وعلى مقتضى الحال الذي يقدَّم فيه البيان. فضلا عن أن هذا الجمع بهذا التتبع، يتيح الفهم الدقيق لكل رواية على حدة، لارتباطها بموقفها وظروفها وملابساتها، قبل أن تنسجم فى بناء الموضوع الواحد [٥٥] . ولقد وضع العلماء شروطاً للعمل بهذه القاعدة، وردت تفصيلاتها فى كتاب "الأصول فى دراسة سُنة الرسول" [٥٦] ...

مثال توضيحي: أحاديث العدوى بين النفي والإثبات

هناك أحاديث نبوية يدل ظاهرها على ***نفى وجود العدوى***، ومنها ما رواه البخاري فى صحيحه قول رسول الله ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفَر). وروى البخاري فى صحيحه – أيضا– قول رسول الله ﷺ : (لا عدوى ولا صَفَر ولا هامة) ، فقال أعرابي: يا رسول الله: فما بال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها ؟ فقال: (فمن أعدى الأول ؟) ... وروى الترمذي فى سننه عن جابر بن عبدالله ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخله معه فى القصعة، ثم قال: (كُلْ باسم الله، ثقةً بالله وتوكلا عليه)، وفى سنده ضعف، ورواه أيضاً ابن ماجه فى سننه من حديث جابر بن عبد الله.

هذا، وهناك أحاديث نبوية أخرى ***تثبت وجود العدوى***، ومنها قول الرسول ﷺ عن الطاعون: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها) أخرجه البخاري. وقصة طاعون عمواس بالشام معروفة فى كتب السيرة، وأمر عمر بن الخطاب ﷺ الصحابة بالتوقف عن دخول البلدة المصابة بهذا المرض المعدي، وقول عبد الرحمن بن عوف فى هذه الحادثة لعمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) ... كما أن رسول الله ﷺ وضع أساس ***" الحجر الصحي"*** بأحاديث أخرى، إضافة إلى الحديث السالف الذكر، وهو إجراء وقائي لمنع انتشار الأمراض المعدية أو الأمراض الوبائية. ومن أحاديثه الشريفة أيضاً قوله ﷺ: (لا يوردنَّ مُمرضٌ على مُصح) رواه الشيخان. وهناك رواية لحديثه ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة...) مثبتة فى صحيح البخاري، هى: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد) . ففي النصف الأول من الحديث نفى (ظاهري) لوجود العدوى، وفى نصفه الأخير إثبات لوجودها.

فكيف يمكن الجمع والتوفيق بين تلك الأحاديث وهذه الأحاديث؟ بذل عالمان جليلان جهداً مشكوراً للإجابة على هذا السؤال هما الدكتور/محمود طلوزي [٥٧] ، والدكتور/محمد سعيد السيوطي [٥٨] ، وكان مما توصَّل كلاهما إليه في هذا الموضوع أن المراد بنفي العدوى هو أن شيئاً لا يعدي بذاته ، وإنما يعدي بإرادة الله ومشيئته. ولما كانت العرب في الجاهلية تعتقد في أن الأمراض تعدى بطبعها، من غير إضافة لله تعالى، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك ، وأكل مع المجذوم ، ليبيّن لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها ، ففي نفيه ﷺ إثبات الأسباب، وفى فعله إشارة إلى أنها لا تستقل ، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً ، وإن شاء أبقاها فأثرت... **فأحاديث الوقاية تخصّ الأمراض السارية (المُعْدية) فقط** . وبالتالي خلّص الرسول ﷺ الناس (أو بعض الناس) الذين كانوا يعتقدون أن جميع الأمراض تنتقل بالاختلاط والعدوى، من هذا الفهم المغلوط.. .

ومن أوجه التوفيق فيما بين هذه النصوص وبين بعضها، أيضا، أن نفى النبي ﷺ بقوله: (لا عدوى)، إنما هو على غرار (لا ضرر ولا ضرار)، فإن الضرر بين الناس أمر واقع، فليس المقصود إذن هو نفى وجوده، وإنما المراد هو النهى عن إيقاعه. ومن نافلة القول ما ثبت أن أبا هريرة رجع عن التحديث بالحديث (لا عدوى ولا طيرة)... وبهذا يزول الخلاف والتناقض الظاهري بين هذا الحديث الذي ينفى وجود العدوى وبين الأحاديث التي تثبت وجودها... وحتى إذا سلمنا بصحة هذا الحديث، فإنه ينطبق على الأمراض البنيوية والعادية، أيْ إنه (لا عدوى) فى غير الأمراض الوبائية والسارية (المعدية).

٣.١٥. الترجيـــح فيما بين النصوص الصحيحة المتعارِضة

الترجيح فيما بين الأحاديث الصحيحة هو الوسيلة التي يلجأ إليها الباحث بعد عجزه عن "الجمع والتوفيق" فيما بين هذه الأحاديث وبين بعضها... و"الترجيح" هو بيان المجتهد للقوة الزائدة فى أحد الدليلين الظنيْن المتعارضين ليعمل به. وذهب جمهور المحدّثين والفقهاء والأصوليين إلى جواز الترجيح بين الأدلة عند التعارض، ووجوب العمل بالدليل الراجح دون المرجوح [٥٩] .

هذا، وقد حصر صاحب كتاب "الأصول في دراسة سنة الرسول" شروط الأصوليين للترجيح بين المتعارضيْن، فوجد من أهمها ما يلي: استواء الحديثيْن المتعارضين في الحُجية، وفى أحدهما قوة زائدة، كأن يكون راوي أحد الحديثيْن أفقه من الراوي الآخر - تعذّر الجمع أو التوفيق بين المتعارضين، بمعنى السعي من أجل الترجيح بين الحديثين في حالة تعذر الجمع بينهما فقط - ألاّ يكون أحد الحديثين ناسخاً للآخر- ألاّ يكون الحديثان متواترين، لأن المتواترين قطعيان، ولا ترجيح لقطعي على قطعي، لأن الترجيح لا يكون إلاّ في الظنيّيْن - أن يكون المشتغل بالترجيح مستكملاً شروط الاجتهاد.. وقد ناقش صاحب الكتاب آليات وكيفيات وطرق الترجيح، سواء باعتبار السند، أم باعتبار المتن، أم باعتبار الحكْم أو المدلول، أم بحسب الأمر الخارجي [٦٠] .

٣.١٦. الناسخ والمنسوخ

"النسخ" هو التوقف عن الأخذ بنصٍّ لأن هناك نصٌّ آخر جاء بعده فأبطله أو عدَّله، فكأنَّ الآخر (المتأخر) قد نسخ الأول (المتقدم).. ولكن **كيف نعرف المتقدم من المتأخر** في الروايات، أو في الأحاديث، المتعلقة بأمر من الأمور؟ يمكن إيجاز الإجابة التفصيلية على هذا السؤال في النقاط التالية:

أ) قد تكون ألفاظ الروايات مصرِّحة تحديد المتقدم والمتأخر، كما في قول النبي ﷺ: (كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها)، وفي رواية أخرى زيادة: (فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً)، فالنهي عن الزيارة كان أولا، ثم الأمر بالزيارة كان آخراً.

ب) وقد يكون لفظ الصحابي ناطقا بهذا التحديد للسابق واللاحق، كما جاء في حديث علي بن أبي طالب ﷺ: كان رسول الله ﷺ أمرنا بالقيام في الجنازة، ثم جلس بعد ذلك وأمرنا بالجلوس) .

ج) وقد يكون تحديد السابق واللاحق استنباطاً من فهم الروايات. ومثال ذلك أحـــاديث النهي عن الكتابة (كتابة الحديث في زمن نزول القرآن) وأحاديث الأمر بها. فحديث النهي هو ما رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فلْيمْحه، وحدِّثوا عني ولا حرج، ومن كذب علىَّ فليتبوّأ مقعده من النار). إلاّ أن ما ورد عن عبد الله بن عمرو ﷺ يفيد أن الرسول ﷺ أمر بكتابة حديثه، فحين نهته قريش عن الكتابة أمسك عنها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال له: (أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلاّ الحق) ، **فكان النهي في البداية عن الكتابة مع القرآن في صحيفة واحدة، أو مطلقا، خشية وقوع الخلط ، ولكن أحاديث الأمر بالكتابة نسخت حديث النهي عنها** [٦١].

كما أنه وجد من العلماء من قال بأن الأحاديث النبوية التي أثبتت العدوى نسخت الأحاديث النافية لها، وهى متأخرة عنها، والمتأخر قد ينسخ المتقدم. هذا، وقد سبق أن عرضنا لموضوع أحاديث العدوى وكيف أمكن لبعض العلماء الجمع والتوفيق فيما بينها، أيْ إنها ليست من قبيل الناسخ والمنسوخ، كما ذهب صاحب كتاب "السُنة مصدرا للمعرفة والحضارة" [٦٢] .

٣.١٧. عدم ولوج الأمور الغيبية المطلقة

يجب في دراسة الإشارات العلمية الواردة في الأحاديث النبوية أن نتجنب الخوض في الأمور الغيبية المطلقة التي ليس لمعرفتها سوى مصدران، هما القرآن الكريم والسُنة النبوية الصحيحة، وذلك كالأمور المتعلقة بالذات الإلهية، والملائكة، والجن، والروح، والبرزخ، والبعث، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار... إلخ. كما يجب الحذر من الإيغال في الكلام عن قضايا الخلق (خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان) ، وذلك لأن علوم الإنسان فيها لا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية التامة ، وإنما تدور في مجال النظريات أو حتى الفروض، وهى مستويات علمية معرضة للتطوير أو الحذف أو التعديل، لأنها ترتبط بمعتقدات واضعيها، من حيث الإيمان والكفر، والجدّ والهزل... وإنما أصح ما ورد في قضايا الخلق جميعها هو ما صدر عن رسول الله ﷺ

، من وحى متلو، وهو القرآن، أو وحي مقروء، وهو السُنة... مع التأكيد على أن أحاديث رسول الله ﷺ في شئون الآخرة ومشاهدها لا يمكن تفسيرها أو شرحها علميا، لأن الآخرة لها سنن وقوانين تختلف عن سنن الدنيا وقوانينها اختلافا كاملا...

٣.١٨. ضوابط أخرى

بالرغم من الفوائد المستثمرة من بحث ودراسة وجوه الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية ، وتوظيفها في دعوة غير المسلمين للإسلام، ولتثبيت دعائم الإيمان وتقويتها في قلوب المسلمين، وقد عرضنا لهذا في تمهيد البحث الحالي، إلاّ أنه يجب عدم عقد سباق بين إشارات ومدلولات الأحاديث النبوية وبين الكشوف العلمية الحديثة، لأننا بذلك ندُخل سنَّة الرسول ﷺ في تفصيلات ليست من أهدافها الرئيسة، فالرسول ﷺ لم يُبعث لتوضيح قوانين الطفو أو يخبر عن دوران الأفلاك ونُظمها، أو يتحدث في انشطار الذرة وارتياد الفضاء، وإنما بُعث لهداية البشر جميعهم، ويقوم بهذه المهمة من بعده ورثتُه من العلماء على مرِّ العصور إلى قيام الساعة ..

كما يجب على القائم بهذه المهمة ألاَّ يجزم بما يراه أو يفهمه أو يتوصل إليه في مدلول الحديث النبوي، ولكن يجب أن يكون ذلك على سبيل الترجيح أو التوضيح أو الاحتمال أو الاستئناس، وليس الجزم أو الحصر[٦٣] ... وبعبارة أخرى، فإن جذب النصوص الشرعية (قرآناً وسُنة) وإخضاعها لتوافق المعطيات العلمية عمل غير مقبول، بل يجب أن تكون الحقائق الشرعية هى المعيار وهى الأساس، وما عداها تابع لها، وإلاَّ ستكون الإساءة إلى النصوص الشرعية والزج بها فيما لم تنزل (أو ترد) من أجله، وهو هداية الإنسان وإصلاح معاشه ومعاده [٦٤] ، وقد أشرنا إلى هذا بشئ من التفصيل في القاعدة الثالثة من بحثنا الحالي، هذا، إضافة إلى ما فصلناه في كتابنا "الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية" [٦٥] .

٤. الخلاصة والاستنتاجات:

يتم توظيف دراسات وبحوث الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية في خدمة السُنة والدفاع عنها ضد المشككين فيها. وتستهدف هذه الدراسات والبحوث توسيع دائرة الاعتماد على السُنة، من المجال الفقهي وحده، إلى كافة المجالات الإنسانية والاجتماعية. كما يجب أن تستهدف هذه البحوث والدراسات الأمة الإسلامية، فتدفعها نحو النهوض والارتفاع بها كي تتبوّأ مكانتها التي أرادها الله لها، إذ يتضمن هذا اتخاذ آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ منارات هادية للعلماء في بحوثهم واكتشافاتهم... وفي البحث الحالي حاولنا وضع منهج ذي ضوابط ينبغي التزامه، مشاركة منا في خدمة سُنة النبي ﷺ، ويتضمن المنهج الحالي الضوابط أو القواعد التالية:

القواعد اللغوية والضوابط البيانية، فإنه يخطئ فى الفهم، مَن يجهل هذه الجوانب اللغوية فى التعامل مع كتاب الله تعالى وسُنة رسول الله ﷺ .

توثيق النصوص، إذ لابد قبل بحث جوانب أو وجوه علمية في الحديث، أن نستوثق من ثبوت الحديث وصحة نسبته إلى الرسول ﷺ ، وذلك وفقاً للمعايير التي وضعها "أهل الحديث".

التثبُّت من المعطيات العلمية الحديثة، إذ من الأحوط أن نبحث الدلالات العلمية للأحاديث النبوية باليقيني الثابت من العلوم، لا بالفروض ولا بالظنون ولا بالنظريات التي هى محل فحص وموضع تمحيص.

الوحدة الكلية والإطار العام للحديث النبوي، فيجب عدم اللجوء إلى اجتزاء ألفاظ أو جُمل من الحديث وبحثها دون مراعاة الإطار العام والوحدة الكلية له.

دور القرآن في دراسة الأحاديث النبوية: فمن المعروف إنّ السُنة مفسرةً للقرآن الكريم، ومفصّلةً لمجمله، فلابد إذن أن تدور السُنة فى فلك القرآن، ولا تتعداه، ولا يتعارض منها شئ - ما دام الحديث صحيح الرواية والدراية - مع ما ورد بالقرآن العظيم.

خطورة ردّ الأحاديث الصحيحة، ويجب احترام كل حديث صحيح محقق ثابت عن رسول الله ﷺ، فإن عجز الباحث عن فهمه، عليه التسليم به، والتوقف عن التجرّؤ بردّه.

خطورة ردّ أحاديث الآحاد: تتنوع شروط العمل بحديث الآحاد بين شروط في الراوي (المُخبِر)، وشروط في مدلول الحديث (المُخبَر عنه)، وشروط في اللفظ الدال (الخبر نفسه). وعلينا أن نعلم بأهمية أحاديث الآحاد إذ ثبتت عن طريقها أمور عظام.

الموقف من الأحاديث الضعيفة أو المكذوبة، أو الضعيفة، أو المنكَرة، خطرٌ كبير على الأمة، وتطاولٌ عظيم على الرسول ﷺ، لأنها أقوال لفقها البعض ونسبها زورا إلى الرسول ﷺ.

الشرح الموضوعي للسُنة النبوية، فيجب جمع الأحاديث الصحيحة التي تشير تصريحاً أو تلميحاً إلى الحقيقة الكونية أو الطبية، وكذلك روايات الحديث الواحد، بهدف دراستها وبيان ما تدلّ عليه من حقائق علمية أو حِكم صحية.

تخصيص العُمـــوم، فمن المعلوم أن التوجيهات الصحيحة والإرشادات الطبية النبوية، ليست عامة لجميع البشر، أو مفيدة في كل البيئات أو نافعة لجميع الأحوال.

معرفة أسباب الورود، أي يجب على الباحث أن ينتبه للظروف والملابسات التي ورد فيها الحديث النبوي، حتى يمكن أن يفهمه فهماً سليماً، وأن يستنبط منه ما يمكنه الاستنباط.

الثابت والمتغيّر في الأحاديث النبوية، الثابت فهو الهدف والمقصد، وأما **المتغير** فهو الوسيلة، وهى تختلف من عصر إلى عصر، ومن شعب إلى شعب، ومن بيئة إلى بيئة.

الجمع والتوفيق، أو الترجيح، فإذا بدا وجود تعارض ظاهري بين متون بعض الأحاديث النبوية وبين بعضها، فعلينا وضع كل منها فى مكانه الصحيح، ومحاولة التوفيق فيما بينها. وإذا عجزنا عن هذا، فعلينا اللجوء إلى قاعدة أخرى، هى قاعدة الترجيح.

الناسخ والمنسوخ: "النسخ" هو التوقف عن الأخذ بنصٍّ لأن هناك نصٌّ آخر جاء بعده فأبطله أو عدَّله، فكأنَّ الآخر (المتأخر) قد نسخ الأول (المتقدم)..

عدم ولوج الأمور الغيبية المطلقة: يجب أن نتجنب الخوض في الأمور الغيبية المطلقة التي ليس لمعرفتها سوى مصدران، هما القرآن الكريم والسُنة النبوية الصحيحة، وذلك كالأمور المتعلقة بالذات الإلهية، والملائكة، والجن، والروح، والبرزخ، والبعث، والحساب.. إلخ.

ضوابط أخرى: يجب عدم عقد سباق بين إشارات الأحاديث النبوية وبين الكشوف العلمية الحديثة. كما يجب ألاَّ نجزم بما نراه أو نفهمه من مدلول الحديث، ولكن يجب أن يكون ذلك على سبيل الترجيح أو التوضيح أو الاحتمال أو الاستئناس، وليس الجزم أو الحصر.

المراجع والحواشي – REFERENCES

[١] الدكتور/ كارم السيد غنيم: "الإشارات العلمية في القرآن الكريم - بين الدراسة والتطبيق". دار الفكر العربي بالقاهرة، ط١، ١٩٩٥م

[٢] الدكتور/ عبد الغني عبد الخالق: "حجية السنة". المعهد العالمي للفكر الإسلامي (واشنطن)، ودار القرآن الكريم (بيروت)، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .

[٣] محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ". دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

[٤] الدكتور/ سعد محمد محمد الشيخ المرصفي: "مشكل الحديث في ضوء أصول التحديث: رواية ودراية" . مجلة الهداية (البحرين)، (١٧١، ١٧٢) ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م.

[٥] الدكتور/ سعد محمد محمد الشيخ المرصفي: نفس المرجع.

[٦] الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة: "دفاع عن السنة وردّ شبه المستشرقين والكتَّاب المعاصرين". سلسلة البحوث الإسلامية تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م .

[٧] الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة: نفس المرجع.

[٨] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي: "دلائل النبوة". تحقيق: الدكتور/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، دار الريان للتراث القاهرة، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

[٩] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني: "دلائل النبوة". تحقيق: الدكتور/ محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، نشر دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

[١٠] أحمد بن حسن بن أحمد الحارثي: "الأحاديث النبوية التي يستدل بها على الإعجاز العلمي". أطروحة لنيل درجة الماجستير من كلية الحديث والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

[١١] الدكتور/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: "أحاديث معجزات الرسول التي ظهرت في زماننا". ج١ ، ج٢ ، مكتبة الإيمان بالقاهرة، ط١ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م .
[١٢] محمد خير حسب الرسول أحمد: "ضوابط الإعجاز في القرآن والسنة". ثبت وقائع المؤتمر الدولي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إسلام آباد، باكستان، ١٩٨٧م.
[١٣] الدكتور/ محمد فؤاد شاكر: "من إعجاز السنة المشرفة". دار النيل للطباعة بالقاهرة، ط١، ١٩٩٥ م .
[١٤] الدكتور/ محمد فؤاد شاكر: نفس المرجع.
[١٥] الدكتور/ محمد رأفت سعيد: "أسباب ورود الحديث - تحليل وتأسيس". سلسلة كتاب الأمة (قطر) ، العدد (٣٧) ، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
[١٦] الدكتور/ عبد الباسط السيد مرسي: "الأصول في دراسة سُنة الرسول". مكتبة الدعوة بالقاهرة، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م .
[١٧] الدكتور/ كارم السيد غنيم: "الإشارات العلمية في القرآن الكريم - بين الدراسة والتطبيق". مرجع سابق.
[١٨] الدكتور/ يوسف القرضاوي: "كيف نتعامل مع السنة؟". دار الوفاء للطبع والنشر بالمنصورة- مصر، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .
[١٩] الدكتور/ يوسف القرضاوي: نفس المرجع.
[٢٠] محمد فاضل: "الحراب في صدر البهاء والباب". دار المدني (جدة)- السعودية، ط٢، ١٩٨٦ م.
[٢١] الدكتور/ يوسف القرضاوي: مرجع سابق.
[٢٢] الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة: مرجع سابق.
[٢٣] الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة: مرجع سابق.
[٢٤] الدكتور/ كارم السيد غنيم: مرجع سابق.
[٢٥] محمد خير حسب الرسول أحمد: مرجع سابق.
[٢٦] الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم: "موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي". ج١، ج٢، دار نهضة مصر ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
[٢٧] الدكتور/ كارم السيد غنيم: مرجع سابق.
[٢٨] أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري: "تأويل مُخْتِلفِ الحديث". طبعة المكتب الإسلامي، تحقيق: محمد محي الدين الأصفر. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
[٢٩] أبو جعفر الطحاوي: "مشكل الآثار". تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
[٣٠] محمد نور سويد: "هل يجوز إنكار حديث نبوي لمخالفته للعقل؟" مجلة الوعي الإسلامي بالكويت، (٤١٠) ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م. ونحن من جانبنا لا نرى الإجماع لازما حتما للقطع بمسايرة النص للعقل، ولماذا لا يكون قول الجمهور على الترجيح حجة في ذلك ؟ فإن كثيرا من حالات الإجماع محل نظر في ربطها بالعقل والعكس صحيح في بعض الأحيان، إذ قد يكون قول الجمهور سديدا تماماً ...!!
[٣١] الدكتور/ يوسف القرضاوي: مرجع سابق.
[٣٢] الدكتور/ سعد محمد محمد الشيخ المرصفي: مرجع سابق.
[٣٣] الدكتور/ كارم السيد غنيم: "تنبيه الألباب إلى حديث الذباب". موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، على شبكة الإنترنت.
[٣٤] الدكتور / عبد البديع حمزة زللي: "إعجازات نبوية متجددة". مجلة المنهل (السعودية) ، (٥٥٧) ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .
[٣٥] حسن أيوب: مرجع سابق.
[٣٦] حسن أيوب: مرجع سابق.
[٣٧] الدكتور/ محمد فؤاد شاكر: "حديث الآحاد ومكانته في السنة". مكتبة الحجاز للنشر والتوزيع (القاهرة) ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

[٣٨] الدكتور/ محمد فؤاد شاكر: "حديث الآحاد ومكانته في السنة". نفس المرجع.
[٣٩] الدكتور/ محمد فؤاد شاكر: "حديث الآحاد ومكانته في السنة". نفس المرجع.
[٤٠] الدكتور / عمر بن حسن عثمان فلاته: "الوضع في الحديثط. رسالة حصل بها صاحبها على درجة العالمية (دكتوراه) من كلية أصول الدين - جامعة الأزهر بالقاهرة، ونشرتها في ثلاثة أجزاء مكتبة الغزالي (دمشق)، ومؤسسة مناهل العرفان (بيروت)، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م.
[٤١] الدكتور/ عمر بن حسن عثمان فلاته: نفس المرجع.
[٤٢] انظر "الأذكار" للنووي، "إنسان العيون" لعلي بن برهان الدين الحلبي، و "الأسرار المحمدية " لابن فخر الرومي، وغيرها ..
[٤٣] الدكتور/ يوسف القرضاوي: مرجع سابق.
[٤٤] الدكتور/ كارم السيد غنيم: "الإشارات العلمية في القرآن". مرجع سابق.
[٤٥] الدكتور/ يوسف القرضاوي: مرجع سابق.
[٤٦] ابن قيم الجوزية : "زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين". المطبعة المصرية ومكتبتها (القاهرة) . بدون رقم الطبعة وتاريخها .
[٤٧] الدكتور/ يوسف القرضاوي: "السنة مصدرا للمعرفة والحضارة". دار الشروق بالقاهرة، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م .
[٤٨] ابن قيم الجوزية : "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة". تصحيح وتعليق: محمود حسن ربيع . مكتبة حميدو بالإسكندرية - مصر، ط٣، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
[٤٩] الدكتور/ محمود طلوزي: "فى رحاب الطب النبوي والعلم الحديث". مكتبة الأسد بدمشق- سورية، ط٢، ١٩٩٤م.
[٥٠] هناك مخطوط نفيس للإمام السيوطي بعنوان "أسباب ورود الحديث"، لم يُطبع حتى الآن، على أغلب الظن.
[٥١] الدكتور/ يوسف القرضاوي: "كيف نتعامل مع السنة؟". مرجع سابق.
[٥٢] الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم: مرجع سابق.
[٥٣] الدكتور / يوسف القرضاوي: "كيف نتعامل مع السنة؟". مرجع سابق.
[٥٤] الدكتور/ محمد رأفت سعيد: "أسباب ورود الحديث – تحليل وتأسيس". سلسلة كتاب الأمة (قطر) ، (٣٧) ، ط١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
[٥٥] الدكتور/ محمد رأفت سعيد: نفس المرجع.
[٥٦] الدكتور/ عبدالباسط السيد مرسي: مرجع سابق.
[٥٧] الدكتور/ محمود طلوزي: مرجع سابق.
[٥٨] الدكتور/ محمد سعيد السيوطي: "معجزات في الطب للنبي العربي محمد ﷺ". مؤسسة الرسالة (بيروت) ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .
[٥٩] محمد خير حسب الرسول أحمد: مرجع سابق.
[٦٠] الدكتور/ عبدالباسط السيد مرسي: مرجع سابق.
[٦١] الدكتور/ محمد رأفت سعيد: مرجع سابق.
[٦٢] الدكتور/ يوسف القرضاوي: "السنة مصدرا للمعرفة والحضارة". مرجع سابق.
[٦٣] الدكتور / كارم السيد غنيم: "الإشارات العلمية في القرآن". مرجع سابق.
[٦٤] محمد خير حسب الرسول أحمد: مرجع سابق.
[٦٥] الدكتور/ كارم السيد غنيم: "الإشارات العلمية في الأحـاديث النبوية - دراسة في المنهج"، مطبعة بحر العلوم بالجيزة، ط ١، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.

تخريج الأحاديث (بحسب ورودها في نص البحث)

عن أبي رافع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا ألفينّ أحدَكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد والبيهقي في (دلائل النبوة). وفي رواية أخرى زيادة: (ألا إن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله)...

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الأَعْيُنُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ بَعْدِي الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ). وَاللَّفْظُ لأَبِي الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيِّ .

قال أنس بن مالك ﷺ: إني لَيَمْنَعُني أن أحدِّثكم حديثا كثيرا: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (مَنْ تعمَّد عليَّ كذبا فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه مسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) رواه البخاري.

قال رسول الله ﷺ: في خطبته بحجّة الوداع، ما رواه عنه ابن عباس ﷺ: (إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم، ولكن رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم، فاحذروا، إني تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه) رواه الحاكم النيسابوري (في "المستدرك على الصحيحين") والإمام مالك (في "الموطأ"). ورواه الحاكم (في "المستدرك") عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع، فقال: (قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إن كل مسلم أخ مسلم، المسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا، ولا ترجعوا من بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض).

حديث: (إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه)، حديث موضوع، وفي رواية أخرى له: (إن الحديث سيفشو عني، فما أتاكم يوافق القرآن، فهو عني، وما أتاكم يخالف القرآن، فليس مني). وهو حديث موضوع مختلق على النبي ﷺ . وقال الشافعي (في "الرسالة"): وقد سئل عن أن النبي ﷺ، قال: (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فلم أقله): ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، ثم قال: وهذه رواية منقطعة عن رجل مجهول، وعمن لا يقبل (عنه) مثل هذه الرواية في شيء.

يقول ربُّ العزَّة في الحديث القدسي على لسان رسوله ﷺ: (إذا تقرّب عبدي إليَّ شبرًا تقرّبتُ إليه ذراعا ، وإن تقرّب إليَّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) متفق عليه. وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَإِنْ هَرْوَلَ سَعَيْتُ إِلَيْهِ، وَأَنَا أَسْرَعُ بِالْمَغْفِرَةِ). وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، اتَّفَقَ الإِمَامَانِ عَلَى إِخْرَاجِهِ. فَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الأَعْلَى عَنْ مُعْتَمِرٍ. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: وَقَالَ مُعْتَمِرٌ، وَذَكَرَهُ. وقال بعض علماء الحديث: وَلَمْ أَجِدْ قَوْلُهُ: (وَإِلَيْهِ أَسْرَعُ بِالْمَغْفِرَةِ) فِي حَدِيثٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ غَيْرَهُ . .

قال رسول الله ﷺ لنسائه من أمهات المؤمنين: (أسرعكُن لحوقًا بي أطولكُنّ يدا) رواه مسلم في صحيحه. قالت عائشة: (فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة، وكانت زينب امرأة صانعة باليد، وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله). هذا لفظ رواية الحاكم (في "المستدرك")، كما حكاها الحافظ (في "فتح الباري"). والحديث في الصحيحين، ولكن وقع في رواية البخاري اختصار ووهم نبه عليه الحافظ في الفتح.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ) الحديث صحيح في أعلى درجات الصحة، وقد اتفق على إخراجه الإمامان البخاري ومسلم، رحمهما الله.

عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ: (الحُمىَّ من فيح جهنم فأبردوها بالماء) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الطب)، ومسلم في صحيحه. وأخرجه النسائي من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن مالك.

قال رسول الله ﷺ مشيرًا إلى نجم في السماء: (أتدرون ما بينكم وبين هذا النجم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: (بينكم وبينه خمسمائة عام) حديث مرفوع، ولكن لم نعثر له على تخريج واضح !!

الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ: (شاوروهن وخالفوهن)، في شأن النساء، حديث مكذوب، أو هو حديث لا يصح، ضعفه السخاوي (في "المقاصد الحسنة")، والشوكاني (في "الفوائد")، وحكم عليه بعض العلماء بالوضع.

حديث (الوائدة والموءُودة فى النار إلا أن تبلغ الوائدة الإسلام)، رواه أبو داود (في سننه) مختصرا، ورواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي (في سننه الكبرى)، وقد حكم عليه بعض أهل الحديث بالبطلان. ومن رواه مفصلا رواه ضمن قصة من رواية سلمة بن يزيد الجعفي ﷺ قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل وتفعل، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: لا، قال: قلنا: فإنها كانت وأدت أختا لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: (الوائدة والموؤدة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها). وهذا الحديث مشكل من جهة أن الموؤدة قد تكون بنتا صغيرة لم تبلغ الحنث، والحديث قد ذكر أنها في النار، وقد حمل بعضهم هذه القصة على أنها واردة على سبب معين فلا تحمل على العموم، وحمله آخرون على أن المراد بالوائدة القابلة، والموؤدة أم الطفلة، أي بمعنى الموؤدة لها وهي الأم، وقد مال إلى اختيار هذا التأويل المناوي (في كتابه "فيض القدير")، وقال: وهذا أولى من ادعاء أنه وارد على سبب خاص وواقعة معينة لا يجوز إجراؤه في غيره.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. ورواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. ورواه الطبراني عن عبادة بن الصامت. وقد صححه بعض أهل الحديث، وضعفه كَثير من أهل الحديث، منهم الشيخ عبد الله السعد، وقال: إنه لا يتناسب مع مقام النبوة لما في مقام المسكنة من انكسار. وعلى فرض صحته فالمراد بالمسكنة هنا التواضع والإخبات، وليس المراد قلة المال.

عن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ). هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رواه أحمد والبخاري. وَرَوَاهُ جَابِرٌ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ، كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ). وذكره العسقلاني (في "فتح الباري بشرح صحيح البخاري") عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين).

عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ﷺ بعد العصر من يوم الجمعة، فى آخر الخلق، فى ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل). وهذا سند مسلم ولفظه في صحيحه. ورواه أحمد في مسنده باختصار، وابن معين، وابن منده، والدولابي الثقفي، والبيهقي. قال ابن كثير عند تفسير قول الله تعالي: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض فى ستة أيام... (٥٤)﴾ [سورة الأعراف]: هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم عليه ابن المديني، والبخاري، وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة، فجعلوه مرفوعًا، وقد حرّر ذلك البيهقي. وقال البخاري (فى التاريخ): وقال بعضهم عن كعب، وهو أصح، يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار. وفى متن هذا الحديث غرابة شديدة، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات، وفيه قصة خلق الأرض وما فيها فى سبعة أيام، وهذا خلاف القرآن، لأن الأرض خلقت فى أربعة أيام، ثم خلقت السموات فى يومين من دخان (وهو ما يفهم من ظاهر اللفظ فى بعض الآيات) .

عن أبى هريرة قول رسول الله ﷺ : (إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء) رواه البخاري فى صحيحه وابن ماجه فى سننه. وذكره البزار، وكذلك التبريزي (فى "مشكاة المصابيح")، وابن حجر (فى "تلخيص الحبير").

حديث الفأرة حديث صحيح أورده البخاري فى جامعه الصحيح، والترمذي والنسائي فى سننيهما، كما ورد فى مسند أبى داود وفى موطأ مالك، بروايات متقاربة. ومن رواياته: والحديث بلفظ أبى داود - كما أورده (فى كتاب الأطعمة - باب: فى الفأرة تقع فى السمن) - هو: عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وقعت الفأرة فى السمن، فإن كان جامدًا فألقوها وما حولها، وإن كان مائعا فلا تقربوها).

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ سُلَيْمَانَ الْعَبْدِيَّ، وَكَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ ويُحَدِّثُ بِأَحَادِيثَ لَيْسَ لَهَا أُصُولٌ، وكان يُحَدِّثُ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (شُرْبُ الْمَاءِ عَلَى الرِّيقِ يَعْقِدُ الشَّحْمَ). نقله ابن حجر العسقلاني (في "لسان الميزان") وحكم عنه بأنه: (فيه عاصم بن سليمان، ذكر من جرحه). ومن علماء الحديث من قال إنه موضوع، وضعه عاصم الكوزي.

حديث (المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء)..قال ابن القيم (في "زاد المعاد"): وأما الحديث الدائر على ألسنة كثير من الناس: (الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل جسم ما اعتاد) فهذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولا يصح رفعه إلى

النبي ﷺ. قاله غير واحد من أئمة الحديث. وربما يؤيد صحة الحكمة التي ذكرت حديث آخر: (ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه). رواه الترمذي وصححه الألباني.

حديث: (عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة) حديث موضوع.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا تَبَرُّكًا بِهِ كَانَ هُوَ وَمَوْلُودُهُ فِي الْجَنَّةِ). الحديث ذكر في موضوعات ابن الجوزي. قال الشيخ الالباني (كما في "سلسلة الأحاديث الضعيفة"): موضوع.

حديث: (مَنْ فارق الدنيا وهو سكران، دخل القبر سكرانا، وبعث من قبره سكرانا، وأُمر به إلى النار سكرانا). وفي رواية عن أنس بن مالك ﷺ: (من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكرانا وبعث من قبره سكرانا وأمر به إلى النار سكرانا إلى جبل يقال له سكران فيه عين يجري منها القيح والدم هو طعامهم وشرابهم مادامت السموات والأرض). ذكره ابن القيسراني (في "ذخيرة الحفاظ")، وهو حديث مكذوب، ففيه أبو هدبة، وهو كذاب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ، قَالَ : كُنَّا فِي وَلِيمَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأُتِيَ بِطَعَامٍ فِيهِ بَاذِنْجَانُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِنَّ الْبَاذِنْجَانَ يُهَيِّجُ الْمِرارَ وَيُبَيِّسُ اللِّسَانَ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَاذِنْجَانَةً فِي لُقْمَةٍ، فَأَعَادَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّمَا الْبَاذِنْجَانُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَلا دَاءَ فِيهِ).هَذَا حديث موضوع عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والمتهم بِهَذَا الحديث أَحْمَد بْن مُحَمَّدِ بْنِ حرب. قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: كَانَ يتعمد الكذب ويلقن فيتلقن وَهُوَ مشهور بِالْكَذِبِ ووضع الحديث.

حديث: جاء رجل الي النبي ﷺ فشكا إليه قلة الولد، فأمر أن يأكل البيض والبصل). قال أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (في "لسان الميزان"): محمد بن يحيى بن ضرار المازني الأهوازي عن أبي الربيع الزهراني ضعيف. قال بن حبان: لا يجوز الاحتجاج بخبره، وهو الذي روى عن الزهراني عن مفضل بن فضالة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن نافع عن بن عمر ﷺ قال جاء رجل الى النبي ﷺ فشكا إليه قلة الولد فأمره أن يأكل البيض والبصل. وقد سرقه عن هذا الشيخ جماعة وأدخل على أحمد بن الأزهر النيسابوري عن أبي الربيع، فحدث به. وأدخل على محمد بن أبي صالح وأبو طاهر البلدي عن أبي الربيع فحدث به. قال بن حبان: ولا نشك أنه موضوع. انتهى. وقال الحاكم: حدث عن أبي الربيع الزهراني ومسلم بن إبراهيم بأحاديث موضوعة. وقال أبو نعيم حدث بمناكير

حديث: (تُرفع زينة الدنيا سنة خمسة وعشرون ومائة) حديث موضوع، رواه بركة بن محمد الحلبي عن يوسف بن أسباط والوليد بن مسلم، متهم بالكذب. قال بن حبان حدثونا عنه كان يسرق الحديث وربما قلبه. قال أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (في "لسان الميزان") عن بركة: قال بن عدي: وسائر أحاديثه باطلة. وقال الحاكم: يروي أحاديث موضوعة.
عن أبي أمامة الباهلي حين نظر إلى آلة حرث (محراث)، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يدخل هذا بيتَ قوم إلاّ أدخله الله الذلّ). حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه (كتاب المزارعة).

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما.

عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (دَوَاءُ عِرْقِ النَّسا أَلْيَةُ شاةٍ أعرابيَّةٍ تُذابُ، ثم تُجزأ ثلاثةَ أجزاء، ثم يُشْرَبُ على الريق كل يوم جزء) رواه ابن ماجه (في سننه) من حديث محمد بن سيرين.

عن ابن مسعود قال: قال رسوا الله ﷺ: (عليكم بألبان البقر، فإنها دواء، وأسمانها فإنها شفاء، وإياكم ولحومها، فإن لحومها داء) رواه الحاكم وابن السني وأبو نعيم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير. ونحوه عن صهيب: (عليكم بألبان البقر، فإنها شفاء، وسمنها دواء، ولحمها داء) رواه ابن السني وأبو نعيم وصححه الألباني أيضا. ومثله: (ألبان البقر شفاء، وسمنها دواء، ولحومها داء) رواه الطبراني في الكبير عن مليكة بنت عمرو السعدية، وهو في صحيح الجامع كذلك...

عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الطب- باب "الحبة السوداء")، كما أخرجه من حديث عائشة رضى الله عنها. وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (في الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ من كل دَاءٍ إلاَّ السَّام). وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (كتاب السلام- باب التداوي بالحبة السوداء)، وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة أيضًا (كتاب الطب باب ما جاء في الحبة السوداء، وأخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة، كما أخرجه أحمد من حديث بريدة الأسلمي ﷺ، ومن حديث عائشة رضي الله عنها. قال ابن شهاب: والسام: الموت، والحبة السوداء: الشونيز.

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من تصبَّح سبع تمراتٍ عَجْوَة لم يضره ذاك اليوم سمٌّ ولا سِحْر). الحديث متفق عليه. العجوة: نوع من تمور المدينة بالجزيرة العربية.

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ : فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو شَرْبَةِ عَسَلٍ، أو كَيَّةٍ بِنَارٍ، وأنا أَنْهَى أُمَّتِي عن الْكَيِّ). أخرجه البخاري في صحيحه. وعن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن كان في شَيْءٍ من أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِي: شَرْبَةِ عَسَلٍ، أو شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو لَذْعَةٍ من نَارٍ، وما أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ) . الحديث أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

عن طلحة بن عبد الله ﷺ قال: مررتُ مع رسول الله ﷺ فى نخل، فرأى قومًا يلقحون النخل، فقال: (ماذا يصنع هؤلاء ؟)، قالوا: يلقحون النخل، يأخذون الذكر فيجعلونه فى الأنثى فيلقح. فقال ﷺ: (ما أظن ذلك يغنى شيئاً)، وفى رواية رافع: (لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيراً)، فتركوه ونزلوا عنها، فنقصت (أيْ سقط ثمرها)، وقيل: صار شيصاً (أيْ ثمرا لا يؤكل). فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: (إنما هو الظن، إن كان يغنى شيئاً فاصنعوه، فإنما أنا بشر مثلكم، وإن الظن يخطئ ويصيب، وأنتم أعلم بشئون دنياكم، ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله) حدبث صحيح رواه مسلم في صحيحه.

روى في كتب الصِّحاح من حديث رسول الله ﷺ : (صوموا لرؤيته – أىْ: الهلال – وأفطروا لرؤيته، فإن غُمِّ عليكم فاقدروا له). عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِذَا رَأَيْتُمُوهُ – أىْ: الهلال – فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ – أىْ: الهلال – فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ، عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ يَحْيَى. وثبت عن رسول الله ﷺ من طرق كثيرة أنه قال: (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فاقدروا له ثلاثين) رواه مسلم في صحيحه. وفى لفظ آخر: (فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين). وفي لفظ آخر: (فأكملوا العدة ثلاثين يوماً). وفي رواية أخرى: (فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً) رواه البخاري في صحيحه.

عن أبي هريرة ﷺ قول رسول الله ﷺ : (لا عدوى ولا صَفَر ولا هامة)، فقال أعرابي: يا رسول الله: فما بال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها ؟ فقال: (فمن أعدى الأول ؟) روى البخاري فى صحيحه . وقال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفَر) متفق عليه.

عن ابي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الطب).

عن جابر بن عبدالله ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخله معه فى القصعة، ثم قال: (كُلْ باسم الله، ثقةً بالله وتوكلا عليه)، رواه الترمذي فى سننه، وفى سنده ضعف. ورواه أيضاً ابن ماجه فى سننه من حديث جابر بن عبد الله.

عن أسامة بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ: (إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وأَنْتُمْ فِيهَا، فَلا تَخْرُجُوا مِنْهَا). متفق عَلَيْهِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يُرِيدُ الشَّامَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ لَقِيَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ أَنْ يَمْضِيَ، فَقَالُوا: خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَرَى هَذَا الرَّأْيَ أَنْ نَخْتَارَ دَارَ الْبَلاءِ عَلَى دَارِ الْعَافِيَةِ، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ غَائِبًا ، فَجَاءَ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي عِلْمًا مِنْ هَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ). وفي رواية عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: (لا يوردنَّ مُمرضٌ على مُصح). قال الألباني (في "السلسلة الصحيحة"): أخرجه البخاري مسلم وأبو داود والطحاوي وأحمد من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا به. . (الممرض): هو الذي له إبل مرضى و (المصح)، من له إبل صحاح.

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة) أخرجه ابن ماجه بلفظه. عن أبي هريرة ﷺ قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله، فقال: (استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت) أخرجه مسلم بلفظه. وقول النبي ﷺ: (كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها) أخرجه الحاكم عن طريق أنس بن مالك، بسند حسن، وفيه زيادة: (فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً).

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أمرنا بالقيام في الجنازة، ثم جلس بعد ذلك وأمرنا بالجلوس) .وهناك حديث في صحيح مسلم يقول بأن وقوف النبي ﷺ هذا في المقابر قد نُسخ، وبأنه كان بعد ذلك يجلس حتى يوضع الميت في القبر.

عن همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي - قال همام أحسبه قال "متعمدا"- فليتبوأ مقعده من النار). وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلا حَرَجَ...) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الزهد والرقائق).

عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن الرسول ﷺ أمر بكتابة حديثه، فحين نهته قريش عن الكتابة أمسك عنها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له: (أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلاّ الحق)، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى فَمِهِ. رواه أحمد في مسنده . وأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ، عَنْ مُسَدَّدٍ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ؛ إِلا أَنَّهُ قَالَ: (مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلا حَقٌّ).

يسمح بالاقتباس والاستشهاد بالبحث وبأجزاء منه مع الاستشهاد به كما مدون في هامش الصفحة الأولى من هذا البحث (مع ذكر المؤلف والمجلة). كما يسمح بالطباعة والتوزيع عدا التوزيع التجاري.
© جميع الحقوق محفوظة للمجلة الأكاديمية للإعجاز العلمي.